مشروع النشر المشترك



# توطئة لدراسة علم اللغة

# التعاريف

تأليف

د. التهامي الراجي الهاشمي

مشروع النشر المشترك

دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) - بغداد

دار النشر المغربية



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»


تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق ـ بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

# توطئة لدراسة علم اللغة
# التعاريف

تأليف

د. التهامي الراجي الهاشمي
استاذ علم اللغة بكلية الآداب - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم ،

## مقدمـة الطبعة الاولى

أقـدم للقارىء العـربي هـذا المؤلف الذي يفتح سـلسلة من الدراسات اللغوية ، وهي سلسلة أقصد من ورائها سد الفراغ الخطير الذي يشتكي منه علم اللغة في عالمنا العربي .

ولقد حاولت أن أجمع في هذا العدد كل ما من شأنه أن يعرف القارىء باللغة ، موضوع الدرس .

ومن المعلوم ان علم اللغة بلغ بجميع فروعه ، في هذه السنوات الاخيرة من الدقة والتشعب ، بفضل جهود أقطاب ميرزين فيه ، الى درجة لم يبق معها يعد في عداد العلوم النظرية الصرفة ، بل أصبح علما دقيقاً له قواعده الثابتة ونظرياته المتناهية في الضبط ، ومعادلاته السليمة التي تقربه من العلوم التجريبية وتبعده عن العلوم النظرية .

الا أننا ـ نحن العرب ـ لا بد ، لاسباب معروفة ، أن يكون لنا موقف خاص من هذا التقدم العجيب الذي أحرزه هذا العلم .

لا جدال في أننا نريد ، في أقرب وقت ممكن ، اللحاق بالعالـم المتقدم في جميع الميادين ، وعلى الخصوص في ميدان علم اللغة .

لكن السؤال الذي يجب أن نضعه هو : كيف يمكن اللحاق بهذا العالم ؟ أي ، ما هي أحسن السبل وأيسرها وأهمها للتحـاق بهذا العـالم المتقدم ؟.

•

سأحاول الجواب عن هذا السؤال ، وكأنه لا يتعلق الا بعلم اللغة •

وصل علم اللغة كما سبق أن قلنا الى أوجه ولم يصل ذروته هذه الا بعد أن اكتمل بنظريات دقيقة ، ومصطلحات معقدة ، وقواعد جامعة ، وتيارات عديدة متباينة ، ونظام من الرموز متداخل •

فهل الحكمة أن نبدأ نحن العرب بما انتهى اليه الغرب في هذا الميدان لنقول اننا التحقنا بالغرب ، واننا نسايره ؟

هل من الصواب أن نؤلف بادىء ذي بدء في نحو الحالات الذي لم يظهر في امريكة الا سنة ١٩٦٦ فقط بمقال Fillmore Toward a Modern والحالة اننا لم نمر كما مروا من مراحل لغوية دقيقة هيأت نحو الحالات هذا ؟ الحكمة أن ننشر دراسات حول النحو التوليدي التطبيقي الذي رأى النور أول ما رآه في الاتحاد السوفياتي بفضل جهود العالم اللغوي S. K. Saumjan حوالي ١٩٦٢ ، ونحن بعد مفتقرون الى المؤلفات التي عنها تمخض هذا التيار ؟

أم هل من الصواب أن نصنف في النحو التوليدي الذي لم يظهر في امريكة الا سنة ١٩٥٧ مع نشر كتاب Syntactic Structures لـ Chomsky بعد أن هيأت ظهوره تيارات لغوية أخرى لا زال ميدان التأليف العربي لا يعرف عنها الا النزر القليل الذي لا يفيد ؟

أعتقد أنه من الحكمة أن نبدأ من النقطة التي منها انطلقوا لنرسي هذا العلم الذي نريده عصريا متطورا على أسسه الطبيعية السليمة •

لا شك أن النقطة التي بدأوا منها هي قواعد دير Port Royal التي وضعها سنة ١٦٦٠ الراهبان Lancelot & Arnola والتي تعرف بـ « القواعد اللغوية العامة والمعللة تعليلا عقليا » .

لا يخامرني شك في أننا ان بدأنا من هنا ثم تدرجنا مع التيارات والمذاهب التي تلاحقت ، دون انقطاع ، ما بين ١٦٦٠ و١٩٧٧ ، نفهمها حق الفهم أولا ، ثم نعرب مصطلحاتها بعد ذلك ، مطبقين ما يمكن تطبيقه منها على لغتنا ، وذلك بوضع الامثلة الملائمة لكل قاعدة ، أصبحنا قادرين على مسايرة كل ما يجد في علم اللغة بجميع فروعه . ونحن ، مع ذلك مطالبون ، وقت قيامنا بكل هذا ، بوضع لغة واصفة منسجمة ، نستعملها في محاضراتنا وندواتنا ومؤلفاتنا .

من أجل ذلك كان لزاماً عليّ ، وأنا واحد من هذه الجماعة المسؤولة عن علم اللغة في البلاد ، أن أبدأ من البدء ، فأقدم للقارىء العربى توطئة تساعده على معرفة اللغة وتهيئه لتتبع الخطوات اللاحقة بيسر وبمردود كبير .

ومع ذلك فسيرى بعض الناس في عملي هذا ما يبرر نقده ، وقد يقدمون على ذلك متسرعين أو متمهلين . وسواء كان النقد نزيها أو مغرضا فسيكون مفيدا لي ولا شك . أستفيد من النقد النزيه العلم والخبرة وأستفيد من النقد المغرض المعرفة بالناس .
وسيكون منهم على صواب كل من رأى أن ما أقدمه للناس في هذا الجزء ليس من علم اللغة الحديث وليس من علم اللغة القديم وانما هو خليط من ذا وذاك .

ذلك بالضبط ما أردت ، اننا نعرف مشكلتنا في هذا الفن انها ليست شبيهة بمشكلة الفرنسي ، ولا بمشكلة الانجليزي ولا بمشكلة الاسباني ولا بمشكلة الروسي .

ان لنا ــ نحن العرب ــ في هذا الباب علماً للغة قديما ، بل ركاما من هذا العلم . فهل من الصواب أن نفرط في هذا الكنز بدعوى ان جدّ جديد في الموضوع ؟ أفلا يكون من الرصانة أن نحاول ربط الماضي بالحاضر ، لا سيما وأن هذا الماضي مشرق وضاء ؟

على عاتقنا نحن أساتذة علم اللغة تقع مسؤولية تعريف الاجيال الصاعدة بالنشاط الفيلولوجي لاجدادنا ، علينا أن نبين لهم المواطن التي تفوقوا فيها والتيارات التي انجرفوا معها والمذاهب التي تخبطوا فيها ، ثم علينا بعد ذلك أن نقودهم لهذا الجديد ندرسه دراسة متأنية ، متينة مطبقينه على لغتنا .

نحن لا نرى كيف يمكن أن ننطلق من هذا الحديث ندرسه وتتدارسه ونستفيد منه ونحن بتراثنا في هذا الباب جاهلون .

اننا لنؤمن ايمانا لا يتزحزح بأن التجديد قتل القديم بحثاً .

لهذا كان لزاما علينا أن نربط الحديث بالقديم ، ولنحقق ذلك أكثرنا من التعليق وبالغنا في الاستطرادات .

وعلى كل فهذه لبنة من اللبنات الاولى في ذلك البناء الذي نسميه اللسانيات والذي بدأنا في عالمنا العربي نسعى الى الشروع في اقامته ، أقدمها للقارىء الكريم .

الدار البيضاء ٩ كانون الاول ١٩٧٦

المؤلف

## مقدمـــة الطبعـة الثانيـة

نفد هذا الجزء من سلسلة الدراسات اللغوية من زمان ، فطلبت مني ، منذ مدة ، دار النشــر المغربية تسليمها نســخة مصححة منه لاعادة طبعه ، لكن شغلتني عن ذلك مشاغل . والآن وقــد أنهيت تصحيحه وأضفت اليه ما كان لزاما أن يضاف أقدمه للقارىء العربي راجيا أن يقــم الاقبال على هــذه الطبعــة كما وقع من ذي قبل على أختها .

ان الفرحة لتغمرني حين أسمع أن أساتذة للّسانيات مقتدرين يعرضون محتواه على طلبتهم بعد أن تلقوه هم مني يوم كانوا طلابا وقبل أن يظهر الى الوجود .

بهذه المناسبة أحييهم بجدارة وأهنئهم ، كما أشكر كل الذين كتبوا عنه محللين لمحتواه ومعرّفين به .

**الرباط اول كانون الثاني ١٩٨٤**

## الفصل الاول

# في العصور الجاهلية
# والعصور الاسلامية المتقدمة

## ١٠١ • لفظة « لغة » و « لسان » :

لم تكن كلمة « لغة » تعني قديما ما تدل عليه الآن • لقد كانوا يعبرون عما توحي به عندنا في «عبارة»[1] حديثة بكلمة أخرى هي «لسان» • « تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية ، شقيقات اللغة العربية »[2] •

والقرآن نفسه لم يستعمل هذه اللفظة قط بالمعنى المعروف المتداول عندنا الآن ، وان كان قد استعمل مادة « ل•غ•و• » تارة بمعنى « الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته »[3] كما تشهد بذلك الآية : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون »[4] • والمعنى « لا تسمعوا له اذا قرىء وعارضوه بكلام لا يفهم »[5] ، وتارة بمعنى « القول الباطل » شاهد على ذلك قوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون »[6] • وقوله « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين »[7] •

أما الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد استعملها في معنى : « ما لا يحتاج اليه من الكلام » يشهد على ذلك قوله : « اذا قلت

---

١ ـ استعمل لفظة « عبارة » واعني بها من الآن فصاعدا Statement, Enoncé انظر الحواشي ٤٣ و١٠٧ •

٢ ـ في اللهجات العربية الدكتور ابراهيم أنيس ، صفحة ١٧ •

٣ ـ الكشاف للزمخشري ، الجزء الرابع ، صفحة ١٥٥

٤ ـ الآية ٢٦ من السورة الواحدة والاربعين ، فصلت

٥ ـ الجامع لاحكام القرآن ، لأبي عبدالله القرطبي ، الجزء الخامس عشر

٦ ـ آية ٣ من السورة ٢٣ ، المؤمنون

٧ ـ الآية ٥٥ ، من السورة الثامنة والعشرين : القصص •

لصاحبك أنصت ، والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت » . أما رواية من سمع هذا الحديث عن الرسول ونقله للناس فهي «لغيت» .

فعلمنا من العبارتين ، عبارة راوي الحديث ، وهو أبو هريرة وعبارة الرواية العامة ان الكلمة « لغة » من مادة ثلاثية ثالث حروفها واو ، أو من مادة ثلاثية آخر حرف فيها ياء .

واستعملت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى نفسه أيضا . أي بمعنى « ما لا خير فيه من الكلام » . قال عبدالله بن رؤبة السعدي التميمي(٨) :

ورب أسراب حجيج كظم
عن اللغا ورفث التكلم

واستعملها بعد هذا بزمن ، وبنفس المعنى المشار اليه أعلاه كتاب وشعراء آخرون ، منهم ، على سبيل المثال ، الفرزدق(٩) الذي قال :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ★ اذا لم تعمد عاقدات العزائم

---

٨ – هو ابو العثاء العجاج ، راجز مجيد ، قال الشعر في الجاهلية . ولما بعث الله نبيه أسلم ، وهو والد رؤبة الراجز المشهور . عاش الى ايام الوليد ابن عبدالملك وتوفي حوالي ٩٠ هجرية ، الموافق ٧٠٨ ميلادية .

٩ – هو أبو الحسن همام بن غالب بن صعصعة التميمي الشهير بالفرزدق، له الاثر العظيم في اللغة العربية ، وهو صاحب الاخبار المشهورة مع جرير والاخطل . ومهاجاته لهما اشهر من أن تذكر . كان شريفا في قومه ، عزيز الجانب . يظهر دوره الخطير في ميدان اللسانيات في هذا القول المأثور : « لولا شعر الفرودق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس » . توفي سنة ١١٠ هجرية ( ٧٢٨ ميلادية ) .

## ٢٠١٠ نصوص لغوية شاهدة على ذلك

كانوا في هذه العصور المشار اليها يطلقون عما نعبر عنه نحن الآن بـ «اللغة» كلمة «اللسان» أو «لسن» .

قال الجوهري[١٠] : « اللسن بكسر اللام : اللغة . يقال لكل قوم لسن ، أي لغة يتكلمون بها[١١] » . مميزا بين الصيغتين : « اللسن » بكسر فسكون وهي التي عنده بمعنى « اللغة » . ولا تشاركها ، في نظره ، أية صيغة أخرى في ذلك ، وبين « اللسان » بكسر ففتح ممدود ، وهي عنده : « جارحة الكلام ، وقد يُكنى بها عن الكلمة ، فتؤنث حينئذٍ[١٢] » .

---

١٠ ـ اسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر . أصله من فارب ، قصد العراق صغيرا ، زار كلا من الحجاز التي تقلب طويلا في باديتها وخراسان ونيسابور . وكان الجوهري أول من حاول « الطيران » ومات في سبيله . لقد صنع جناحين من خشب وربطهما بحبل وصعد سطح داره ثم نادى في الناس : « لقد صنعت ما لم أسبق اليه وسأطير الساعة . » وبعد ان اجتمع لمشاهدته جرب جناحيه الخشبيين فخانه اختراعه فسقط الى الارض قتيلا ، مات عام ٣٩٣ هجرية ، موافق ١٠٠٣ ميلادية ( انظر ترجمته في الاعلام للزركلي الجزء الاول ) . صفحة ٣٠٩ وفي المراجع التي يعطيها هناك . ترك لنا عملا لغويا عظيما هو « الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية » طبع بالقاهرة عام ١٣٧٥ هجرية موافق ١٩٥٦ ميلادية على نفقة السيد حسن الشربتلي وبمقدمة في جزء منفصل عن الاجزاء الستة الاخرى لعباس محمود العقاد ، وهي أجود طبعة معروفة للصحاح. وله ، في نشاطه اللغوي أيضا تأليفان آخران هما « العروض » و « مقدمة في النحو » .

١١ ـ الصحاح ، الجزء السادس ، صفحة ١٢٩٥ ، العمود الثاني ، السطر ١٦ .

١٢ ـ نفس المصدر ، صفحة ٢١٩٥ ، العمود الاول : السطر ١٧ .

تبنّى هذا التفسير اللغوي الاندلسي ابن سيده[13] في النصف الاول من القرن الخامس الهجري ، لكن بتحوير قليل • لقد شرح الصيغة «اللسان» لا ، بـ « كلمة » كما فعل قبله الجوهري ، وانما بـ « لغة » • قال : « اللسان » مؤنث لا غير[14] • وهو تطور مهم لحق مدلول كلمة « لسان » في ظرف قصير لا يزيد على ٦٥ سنة

---

١٣ ـ علي بن اسماعيل من أكبر علماء اللغة بالاندلس • قال ابن سعيد المغربي عنه : « لا يعلم بالاندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا أعظم تواليف تفخر مرسية له أعظم فخر ، طرزت به برد الدهر ، وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم • » ( المغرب في حلي المغرب ، الجزء ٢ ، صفحة ٢٥٩ ) ولد عام ٣٩٨هـ ١٠٠٨م وتوفي سنة ٤٥٨هـ ١٠٦٦م • ترك لنا في ميدان علوم اللغة الذي يهمنا كتاب المخصص الذي طبع لاول مرة بمصر بالمطبعة الاميرية في ١٧ جزءا عام ١٣١٦ موافق ١٨٩٩ ميلادية وانتهى من طبعه عام ١٣٢١ هجرية موافق ١٩٦٤ ميلادية • ينقسم المخصص الى كتب ، كانت نية ابن سيدة أن يبحث كل كتاب منها في موضوع محدد • وينقسم كل كتاب الى أبواب تتباين طولا وتعقد كل باب للحديث عن فكرة تعبر عنها مفردات • يحتوي هذا الكتاب زيادة على ظاهرة التفاسير المتعلقة باللفظة الواحدة على تحقيقات لغوية وتفسيرات مورفولوجية لا يستغني عنها أي دارس للغة العصرية • كما ترك لنا كتاب المحكم الذي ظهرت منه بعض الاجزاء وهو معجم مرتب وفق المخارج ع•ح•هـ•ق•ك•ج•ش•ض•ص• س•ز•ط•ظ•ذ•ث•ن•ف•م•و•الف• ولقد اتبع نظام العين فبدأ في كل حرف بالثنائي المضاعف الصحيح ثم الثلاثي الصحيح فالثنائي المضاعف المعتل الخ•

كان ابن سيده ضريرا مثل أبيه : نظم الشعر مدة • وانقطع للامير مجاهد العامري في « شرح ما شكل من شعر المتنبي » وكذا كتاب في شرح حماسة أبي تمام سماه « الانيق » وهو في ست مجلدات •

١٤ ـ « **المخصص** » السفر الاول ، صفحة ١٥٤ ، السطر ١٨ •

الفاصلة بين العالمين اللغويين الجوهري وابن سيده[15] ( ا ١٠١٠٤٠٥ )

لقد كان الجوهري ، وهو يشرحها بما شرحها به يعتمد على قرائن يستمدها من التراث الذي سبقه . فأعشى باهلة[16] ، مثلا لم يستعمل كلمة « لسان » بمعنى لغة ، وانما استعملها ، في شعره وهو يقصد بها «الكلمة» ، «اللفظة» ، «المفردة» . قال :

اني أتتني لسان لا أسرّ بها　　　من علو لا عجب منها ولا سخر

**١٠١٠٣٠ وشواهد من القرآن**

ووردت لفظة « لسان » بكسر ففتح[17] في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم »[18] .

ومعنى ( بلسان قومه ) بلغة قومه[19] . وهو تأويل أكده ابن

---

١٥ ــ مات الجوهري سنة ٣٩٣ ومات ابن سيده سنة ٤٥٨ .

١٦ ــ عامر بن الحارث بن رباح الباهلي من همدان من شعراء الجاهلية وكان يعرف بأبي قحفان . مات أبوه « المنتشر بن وهب » فرثاه بأجود ما قال فكانت القصيدة الرائية الجميلة ( انظرها برمتها في خزانة البغدادي الجزء الاول ، صفحة ٢٤ و٢٥ ) .

١٧ ــ اعتمادا على قراءة الجمهور ، وهي هنا القراءة التي قرأ بها البدور السبعة جميعهم .

١٨ ــ الآية ٤ من السورة ١٤ « ابراهيم »

١٩ ــ **الكشاف عن حقائق غوائص التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل** للامام محمود بن عمر الزمخشري . الجزء الثاني ، صفحة ٤٢٠ ، السطر الخامس ، وانظر أيضا « **البحر المحيط** » الجزء الخامس الصفحة ٤٠٥ ، السطر ٩

عطية[٢٠] في كتابه « المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز »[٢١] حين قال : « اللسان في هذه الآية يراد به اللغة »[٢٢] .

---

٢٠ ـ هو عبدالحق بن غالب بن عطيه المحاربي . نسبه الى محارب قيس ، فقيه اندلسي ، مفسر من أهل غرناطه ، وكان يقول الشعر أيضا . وولي مدة قضاء المريه . له « **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** » وسنتحدث عنه في حاشية أخرى . و « **برنامج** » في ذكر مروياته وأسماء شيوخه . ولد عام ٤٨١ هجرية موافق ١٠٨٨م وتوفي بلورقة عام ٥٤٦ هجرية وقيل قبل ذلك بخمس سنوات اي في عام ٥٤١ هجرية موافق ١١٤٨م توجد ترجمة له في القلائد ابتداء من صفحة ٢٣٩ الى ٢٤٧ كما توجد في البغية للسيوطي . صفحة ٤٩ وفي كتاب الصلة لابن بشكوال صفحة ٨٣٥ وفي غيرها من كتب التراجم .

٢١ ـ « **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** » هو كتاب في التفسير عظيم ألفه ابن اعطية المشار اليه في الحاشية رقم ٢٠ . وجد نسخه منه رائعة الجمال في الخزانة العامة بتطوان تحت الارقم ٦٢٩ . ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ . كما توجد في خزانة الجامع الكبير بمكناس نسخة خطية نفيسة من الجزء الثالث من هذا التفسير تحت رقم ١٢٠ ، وهي نسخة غاية في الاهمية نظرا لانها تحمل وثيقة التحبيس التي كتبها المحبس نفسه : السلطان أحمد المنصور الذهبي . الا ان هذا التحبيس وقع لجامعة القرويين . وتسرب هذه النسخة وحدها دون الاجزاء الاخرى الى خزانة الجامع الكبير بمكناس من الغرابة بمكان .

كما وجد جزء من هذا التفسير مبتور الاول والآخر وبورقتين داخله في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب تحت رقم (٢٠د) وجزء آخر موضوع بالخزانة نفسها تحت رقم ( ١٥٩١ د ) ونسخه تامة من هذا التفسير في نفس هذه الخزانة ، لكن في مرفق الاوقاف تحت رقم ( ١٨٦ ق ) وهي خمسة اجزاء . وتوجد نسخة من تفسير ابن عطية في Biblioteca Innational de Madrid تحت رقم ٤٨٧٤ .

٢٢ ـ انظر تفسير ذلك في سورة ابراهيم في النسخة الخطية المحفوظة بمدريد تحت رقم ٤٨٧٤ .

اذا رجعنا الى الامهات في القــراءات القرآنية لاحظنا أنهم كانوا يعبرون عن لفظة « اللغة » بصيغ أخرى من مادة « لسان » هذه ، وهي صيغ قرىء بها في هذه الآية التي نتحدث عنها مما يؤيد أن هذه المفردة كانت شائعة بهذا المعنى في الجزيرة العربية بمختلف قبائلها .

نعرف مثلا أن أبا السـمّال[٢٣] وأبا الجـوزاء[٢٤] وأبا عمـران الجونى[٢٥] قرأوها « لِسْن » بكسر فسكون ، وهي صيغة موافقــة

---

٢٣ ـ هو قعنب بن أبي العدوي البصري ، المعروف بأبي السمال ( بفتح السين وتشديد الميم بعدها لام ) قارىء شذ عن الجماعة ، وان كان صادف الصواب في كثير من شذوذه . واعتبر ان هذا الشذوذ مفيد للغاية فيميدان اللسـانيات لانه يطلعنا على كثير من الخـلافات اللهجية التي سادت الجزيرة العربية قبل أن توجد لغة واحدة ، أو على أدق تعبير قبل أن تصـير ، بأوجهها المتعددة لغـة تدعـي انها « فصيحة » و « منسجمة » .

توجد ترجمة ابن السمال في « **غاية النهاية** » لابن الجزري ، في الجزء الثاني ، صفحة ٢٧ . هـذا ولقد كنت جمعت كل قـراءاته الشـاذة في مقالي المنشور بمجلة دعوة الحق : العدد السـابع من السنة السادسة عشـرة ، رجب ١٣٩٤ ، موافق غشت ١٩٧٤ ، صفحة ٦٦ ، الحاشية ١٠ وكنت قلت فيه : « ان جميـع القراءات الشاذة لابي السمال في مكان واحد يعد مكسبا عظيما في ميـدان دراسة اللهجات العربية القديمة . ولا يخامرني شك في أن دراستها دراسة فقهية دقيقة ستطلعنا على كثير من أسرار اللهجات العربيـة التي لا زالت ، بكل أسف تحمل في طياتها أسرارا . »

٢٤ ـ هو أوس بن عبدالله الربعـي ، أبو الجوزاء البصـري ، روى عـن عائشة وأبي هريرة وابن العباس ، توفي عام ٨٣ هجرية : أنظـر ترجمته في « **التهذيب** » صفحة ٣٥ .

٢٥ ـ هو عبدالملك بن حبيب تابعي يروي عن جندب بن عبدالله وأنس بن مالك وغيرهما . والجوني التي ينسب اليها أبو عمران اتت من الجون وهو بطـن من الازد . تقرأ ( بفتح فسكون ) . انظـر « **اللباب في تهذيب الانساب** » لعزالدين بن الاثير الجزري ، الجزء الاول ، صفحة ٣١٢ ، السطر الثامن عشر .

لما رأيناه عند الجوهري وابن سيده[٢٦] .

ونعلم أيضا أن أبا الرجاء[٢٧] وأبا المتوكل[٢٨] والجحدري[٢٩] قرأوها « لُسُن » بضم اللام والسين ، وهو جمع « لسان » ، وهي قراءة لم تأت بأي جديد بالنظر الى الصيغة .

**٠٤٠١٠١ تحليل علمي حديث لهذه اللفظة من عالم لغوي قديم**

عندما قلنا ان ابن سيده تبنى ما ذهب اليه الجوهري في لفظة « لسان » ( أنظر ٢٠١٠١ ) قصدنا بذلك ان العالم اللغوي الاندلسي استفاد مما كان سائدا في العصر الذهبي للنشاط الفيلولوجي عند علماء اللغة الفطاحل من أمثال الجوهري الذي جعلته ، بشكل تحكمي فقط ، ممثل هذه الحقبة الزاهرة التي بلغ العمل اللغوي عند العرب فيها أوجه . ذلك أنه ليست لنا أية حجة ، من أي نوع كانت يمكن أن نعتمد عليها لنزعم أن ابن سيده لم يأخذ عن معاصر الجوهري أبي الفتح عثمان بن جنّي الذي تطرق للّفظة يدرسها وكأنه عالم معاصر استفاد من دروس F. de Saussure ومن أتى بعده . قال ابن جني : « قرأ أبو السمّال ( بلسن قومه ) » .

---

٢٦ ـ أنظر (٢٠١٠١) . ق

٢٧ ـ هو عمران بن تميم البصري ، التابعي الكبير ، أبو رجاء العطاردي، كان مخضرما وأسلم في حياة النبي ولم يره . عرض القرآن على ابن عباس وكان تلقنه عن أبي موسى . ولد قبل الهجرة باحدى عشر سنة وتوفي عام ١٠٥ هجرية . توجد ترجمة له في الجزء الاول من **غاية النهاية في طبقات القراء** صفحة ٦٠٤ وفي الجزء الاول من التذكرة ، صفحة ٦٢ .

٢٨ ـ لم أستطع أن أميزه من بين المتوكلين العديدين الذين أعرفهم .

٢٩ ـ هو عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري : مات عام ١٢٨ هجرية . أنظر ترجمته في **طبقات القراء** لابن الجزري ، الجزء الاول ، ص٣٤٩ .

قال أبو الفتح : حكي أن بعض أصحابنا قال : دخلت على أبي السمّال وهو ينتف شعر أسبه وهو يقرأ : « وما أرسلنا من رسول الا بلسن قومه » ، فاللسن واللسان ، كالريش والرياش : فعل وفعال بمعنى واحد . هذا اذا أردت باللسان اللغة والكلام . فان أردت به العضو فلا يقال فيه : لسن ، انما ذلك في القول لا العضو . وكأن الاصل فيهما للعضو ، ثم سموا القول لسانا ، لانه باللسان ، كما يسمى الشيء باسم الشيء لملابسته اياه ، كالرواية[٣٠] والظعينة[٣١] ونحوها[٣٢] » .

**٠٦٠١٠١ عود الى الشاهد القرآني**

وهناك قراءة أخرى لا نعرف بالضبط من قرأ بها لاننا لم نر أحدا عزاها ، وهذه القراءة هي « لُسْن » بضم فسكون[٣٣] . وهذه الصيغة ليست عندي الا جمعا لكلمة لسان « لسان » . ذلك انه سبق أن بينت أن « فُعْل » ( بضم فسكون ) هو جمع عند بني تميم لكل لفظة يقول فيها أهل الحجاز « فُعُل »[٣٤] ( بضمتين ) . كجمع

---

٣٠ ـ الرواية : الدابة يستقى عليها ، وتسمى بها المزادة فيها الماء ( حاشية محققي المحتسب ) .

٣١ ـ الظعينة : الهودج ، وتسمى بها المرأة ما دامت في الهودج ( حاشية محققي المحتسب ) .

٣٢ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ الاقراءات والايضاح عنها لابي الفتح عثمان ابن جني الجزء الاول ، صفحة ٣٥٩ ، السطر الثالث .

٣٣ ـ انظر « **البحر المحيط** » الجزء الخامس ، صفحة ٤٠٥ ، السطر الثالث عشر .

٣٤ ـ انظر تفصيل ذلك في بحثي « **القراءات القرآنية واللهجات العربية** » المنشور في مجلة « دعوة الحق » : العدد العاشر ، السنة الرابعة عشرة ، ذو الحجة ١٣٩١ ( موافق يناير ١٩٧٢ ) صفحة ٣٨ العمود الاول ، السطر الثاني عشر .

« حمار » مثلا : تقول تميم فيه « حُمْر » ويقول أهل الحجاز « حُمُر »[٣٥] وكجمع « فراش » يقول فيه هؤلاء وأولئك « فُرْش » و « فُرُش »[٣٦] .

**٢٠١ لفظة « لغة » و « لهجة »**

لرب سائل يسأل : « فاذا كانوا لا يستعملون لفظة « لغة » للمعنى المتداول عندنا الآن ، فلأية فكرة خصصوها اذن » ؟

لقد كانت لفظة « لغة » تعني عندهم « لهجة » . كذا استعملها امام النحاة سيبويه[٣٧] في كتابه . قال في الباب الذي سماه : « هذا

---

٣٥ ـ عدت لهذه الظاهرة فبينتها أكثر حين الحديث عن اللفظ القرآني « الحبك » ( بضمتين ) في قوله تعالى : « والسماء ذات الحبك » (الآية ٧ من السورة ٥١ ، الذاريات) وكنت قلت انذاك : « تقرأ على طريقة النطق عند تميم حين ينطق بها ساكنة الباء ، وهي حجازية حين تقرأ بضمتين متتابعتين ، فأما الذين يقرأونها على طريقة نطق بني تميم أي بضم فسكون ، فهم أبو مالك الغفاري ( ترجمته في أسد الغابة ، الجزء الخامس : صفحة ٢٨٨ ) ، وأبو حيوة ( توفي سنة ٢٠٣ هجرية ، وترجمته في النهاية ، الجزء الاول ، صفحة ٣٢٥ ) وابن أبي عبلة ( توفي عام ١٥١ هجرية ، ترجمته في الطبقات الجزء الاول صفحة ١٩ ) وأبو السمال ( سبقت الاشارة اليه في الحاشية ٢٣ ، في ١٠١ ٣ ) . وقرأ الجمهور بضمتين متتابعتين على طريقة لهجة أهل الحجاز » أنظر البحث : « القراءات القرآنية واللهجات العربية » الحلقة الرابعة ، المنشورة في مجلة « دعوة الحق » العدد التاسع والعاشر ، السنة الخامسة عشرة صفحة ٦٩ ابتداء من العمود الاول .

٣٦ ـ انظر كذلك « الكتاب » لسيبويه : الجزء الثاني ، صفحة ١٩٨ ابتداء من السطر العاشر .

٣٧ ـ هو أبو بشر عمرو بن عثمان امام البصريين وحجة النحويين أوهو من سلالة فارسية . ولد ونشأ بقرية من قرى شيراز ( مدينة في بلاد فارس جنوبا ) بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل مات بسلوة ، بلدة قريبة من مسقط رأسه سنة ١٨٠ هجرية .

باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجـاز ثم يصير الى أصله » : « ومثل ذلك قوله عز وجل « ما هذا بشرا »[٣٨] في لغة أهل الحجاز • وبنو تميم يرفعونها الا من عرف كيف هي في المصحف »[٣٩] •

وقال وهو يتحدث عن « لدن »[٤٠] : « كما أن لدن لهـا مع « غدوة » حـال ليست في غيرها تنصب بها ، كأنه ألحـق التنوين في لغة من قال « لد » وذلك قولك من « لدً غدوة » كأنه أسـكن الدال ثم فتحها • كما قال : « إضربَنْ زيـدا ففتح الباء حين جـاء بالنون الخفيفة والجر في «غدوة» وهو الوجه والقياس •»

وقال ، وهو بصدد شرح وقوع الاسـماء ظروفا ، وذلك مثـل « اليوم وغدا » : « فمن ذلك قولك متى يسار عليه وهو يجعله ظرفا فيقول «اليوم» أو «غدا» أو « بعد غد » أو « يوم الجمعة » ••• « وكما تقول في سعة الكلام « الليلة الهلال » وانما الهلال في بعض الليلة ، وانما أراد « الليلة ليلة الهلال » ولكنه اتسع وأوجز وكذلك هذا أيضا • كأنه قال سير عليه سير اليوم • والرفع في جميـع هذا عربي كثير في لغات العرب على ما ذكرت لك من سعة الكلام • »

وقال في الباب بعده[٤٢] : « وتقول : « اذا كان غدٌ فأتني ، واذا

---

٣٨ ـ والآية بأكملها هي : « فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت لهن متكأ وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت أخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم » ( الآية ٣١ من السورة الثانية عشرة ، يوسف )

٣٩ ـ **الكتاب** ، الجزء الاول ، صفحة ٢٨ ، السطر ما قبل الاخير •

٤٠ ـ نفس المصدر ، الجزء الاول ، صفحة ١٠٧ : السطر الثامن •

٤١ ـ نفس المصدر ، الجزء الاول ، صفحة ١١٠ ، السطر الرابع •

٤٢ ـ نفس المصدر ، الجزء الاول ، صفحة ١١٤ ، السطر الرابع عشر•

كان يومُ الجمعة فالقني » فالفعل لغد واليوم كقولك : « اذا جاء غدٌ فأتني » • وان شئت قلت : « اذا كان غدا فأتني ، وهي لغة بني تميم » •

يتّضح من هذه النصوص[43] القصيرة التي نقلتها أن امام النحاة لا يعني باللفظة «لغة» في حالتيها الجمع والافراد ، الا اللهجة، وليس غير •

ولقد تتبعت سبويه مع طول كتابه ـ وليس للكتاب ، بكل أسف ، حتى الآن فهارس ، تساعد الباحث على دراسة هذا المصنف العظيم[44] ـ فألفيته يستعمل لفظة «لغة» مكان ما نطلق عليه الآن

---

٤٣ ـ استعمل مفردة «النص» وأعني به texte وهذا ما سألتزمه• أنظر الحاشية رقم ١ السابقة لئلا يلتبس الامر •

٤٤ ـ من المعلوم ان كتاب سبويه في طبعته الكثيرة التداول الآن بين الناس والمطبوع الجزء الاول منها بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق سنة ١٣١٦ هجرية والجزء الثاني بنفس المطبعة سنة ١٣١٧ هجرية لا يحتوي على فهارس : ومن هذه الطبعة أخذت وسآخذ جل شواهدي علما مني أنها هي التي يتوفر عليها طلابي والقراء من الناس ، وقد أنقل من طبعة أخرى الا أنني في هذه الحالة أشير الى ذلك وأنص عليه •

أما الطبعة الاولى للكتاب فقد أنجزها المستشرق الفرنسي Hartwig Derenbourg المزداد (المولود) بباريس سنة ١٨٤٤ والمتوفى بها سنة ١٩٠٨ المحقق **لديوان النابغة** ول « **كتاب الاعتبار** » لاسامة بن منقذ ول « **النكت العصرية لعمارة اليمني** » **والمنجز** « **فهرس المخطوطات العربية في الاسكوريال** » • قدم لكتاب سيبويه وطبعه في جزأين في باريس • ظهر الجزء الاول من هذه الطبعة سنة ١٨٨١ في ٤٦٠ صفحة مع مقدمة بالفرنسية في ٤٤ صفحة وظهر الجزء الثاني سنة ١٨٨٩ بمقدمة بالفرنسية في صفحتين •

«لهجة» ليتحدث عن ٢٣ منها، درسها في كتابه دراسة علمية دقيقة معززا هذه الدراسة البالغة الاهمية بأمثلة رويت له من أفواه رجال هذه القبائل •

---

=

أما الطبعة الثانية فقد انجزت في كلكتا سنة ١٨٨٧ اي قبل تمام ظهور الطبعة الاولى بسنتين صححها الاستاذ كبيرالدين احمد وهي في ١١٠٥ صفحة من القطع المعتاد ولكنها ايضا خالية من الفهارس ولم تستفد بما انجز في باريس •

أما الطبعة الثالثة فهي الترجمة الالمانية الكاملة لكتاب سيبويه في نصه المحقق من طرف الاستاذ Derenbourg • قام بهذه الترجمة أستاذ بجامعة لوكسمبرج يسمى D. gustave John ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي سنة ١٩١٧ • تلقى علوم اللغة العربية على الاستاذ فلايشر وستنفلد وغيرهما • من أعماله التي تذكر فتشكر• نشره لشرح المفصل لابن يعيش وطبعه في ليبزيج من سنة ١٨٨٢ الى ١٨٨٦م • بدأت تظهر هذه الترجمة مع مطلع سنة ١٨٩٥ الى أن تمت سنة ١٩٠٠ •

أما الطبعة الرابعة فهي طبعة بولاق التي أشرت اليها في صدر هذه الحاشية وهي طبعة مذيلة بنص كامل لشرح أبيات الكتاب للاعلام الشنتمري المسمى « تحصيل عين الذهب » من معدن جوهر الادب ، في علم مجازات العرب » • وقد اعتمد المشرف على هذه الطبعة السيد « محمود مصطفى » على طبعة باريس لتصحيح ما يجب تصحيحه ، مثال ذلك ما جاء في صفحة ٢٣ من الجزء الاول: قال : « قوله ( كان سبيئة كذا في المطبوع ومثله في اللسان ) » وكقوله في صفحة ١٤٥ من نفس الجزء : « قوله وهو عند ابن عبس كذا في الاصل والمطبوع ومثله في اللسان » •

وكقوله في نسخ الخط وفي اللسان نسبة هذا الشعر الى مساور بن هند العبسي وفي الشواهد نسبته للعجاج فحرر ، كما ان مصحح هذه الطبعة يعتمد على نسخ خطية • جاء في صفحة ١٤١ من الجزء الاول قوله : « سقط هذا البيت وما يتعلق به مقدما ومؤخرا من نسخ الخط التي بأيدينا • »

=

رأيته يتحدث عن لغة بني ضَبّة[٤٥] ، وعن لغات الانصار[٤٦] ، وبني قيس[٤٧] وخثعم[٤٨] ومذحـــج[٤٩]- وبني قشير[٥٠] وقيس بن ثعلبة[٥١] وأزد الســـراة[٥٢] وبني أسد[٥٣] وبني الحرماز[٥٤] وبني

=

اما الطبعة الخامسة فقد انجزتها مكتبة المثنى ببغداد التي قامت بتصوير نسخة بولاق فهي اذن مطابقه لها لا أقل ولا أكثر .

اما الطبعة السادسة فهي الطبعـــة التي يقوم الآن الاســـتاذ عبدالسلام محمد هارون بتحقيقها وشـرحها . ظهر منها حتى الآن اجزاء ثلاثة طبعت بدار القلم سنة ١٣٨٥ (١٩٦٦م) مصدرة بمقدمه طويلة من ٥٩ صفحة . ينتهي هذا الجزء بباب المبدل من المبدل منه وهو في٤٦ ٤ صفحة وطبع الجزء الثاني بدار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨٨ (١٩٦٨م) وهو في ٤٣٠ صفحة وينتهي عند باب « ما تلحقه الزيادة في الاستفهام » : وطبع الجزء الثـالث في دار الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٣م ، وهو في ٦٥٠ صفحة وينتهي بـ « باب تكسيرك ما كان من الصفات عدد حروفه اربعة أحرف » .

وبما أن هذه الطبعة العلمية الدقيقة لم تتم بعد فان فهارســـها الفنية لم تظهر بعد لنستفيد منها .

٤٥ ـ أنظر مثالا لذلك في الكتاب ، الجزء الاول، صفحة ٩٥ السطر الثالث

٤٦ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة٩٥ السطر السابع

٤٧ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة١٠٤ السطر الاول

٤٨ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة١١٥ السطر الثاني والعشرون .

٤٩ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة١٦١ السطر الثالث وكذا ٣٥٢ السطر السابع

٥٠ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة٢٢٨ السطر السابع

٥١ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة٢٤٦ السطر السابع

٥٢ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ صفحة٢٣٥ السطر السابع وكذا صفحة٣٤١ السطر ٩ وص٣٤٦ السطر ١

=

يشكر[٥٥] وبني سليم[٥٦] وبني سلول[٥٧] وبني مازن[٥٨] والحارثيين[٥٩] وبني دارم[٦٠] وهذيل[٦١] وبني تغلب[٦٢] وبني تميم[٦٣] وبني كليب[٦٤] وبني طهية[٦٥] وبني كلاب[٦٦] والسعديين[٦٧].

---

٥٢ – – – – – – – – – صفحة ٢٨٧ السطر ما قبل الاخير .

٥٤ – – – – – – – – – صفحة ٣١٣ السطر الخامس عشر

٥٥ – – – – – – – – – صفحة ٣٤٤ السطر الرابع

٥٦ – – – – – – – – – صفحة ٤٤٩ السطر الحادي عشر .

٥٧ – – – – – – – – – صفحة ٣٥٨ السطر ٧ وص ٤١٦ السطر ٦ و٤٣٢ س٥ وصفحة٤٣٨ س٨ وص٤٤٢ س٧

٥٨ – – – – – – – – – صفحة١٦٨ السطر الاول

٥٩ – – – – – – – – – صفحة ٤١٩ السطر الثالث عشر .

٦٠ – – – – – – – – – صفحة ٤٢١ السطر السابع عشر .

٦١ – – – – – – – – – صفحة٤٣٨ السطر العاشر

٦٢ – – – – – – – – – صفحة٤٤٩ السطر الاخير صفحة ٦٥ السطر ٤

٦٣ – – – – – – – – – صفحة ٤٨٥ س٣ والجزء الثاني .

٦٤ – – – – – – – – الجزء الثاني صفحة ٥٩ السطر الرابع .

٦٥ – – – – – – – – – صفحة٦٤ السطر السادس عشر .

٦٦ – – – – – – – – – صفحة ١٧٤ السطر التاسع عشر .

٦٧ – – – – – – – – – صفحة ٢٠٢ السطر الخامس عشر .

ويستعمل كلمة «لغة» في زمانه بمعنى «لهجة» أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري(٦٨) ، فيقول في نوادره ، وهو يشرح قول الراجز:

لقد رأيت عجبا مذ أمسا

عجائزا مثل الافاعي خمسا

يأكلن ما في رحلهن همسا

لا ترك الله لهن ضرسا

فقوله : « أمسا » ذهب بها الى « لغة » بني تميم • يقولون : « ذهب أمس بما فيه » فلم يصرفه »(٦٩) •

وقال في مكان آخر : « علاها أراد عليها ولغة بني الحارث ابن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا • يقولون : « أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان ، والسلام علاكم • » ، وهذه الابيات على لغاتهم • »(٧٠) •

---

٦٨ ـ ولد سنة ١١٩ هجرية موافق ٧٣٧ ميلادية • كان اماما من أئمة الادب وعلم من أعلام اللسانيات ، من أهل البصرة • كان يرى رأي القدرية• كان ينقل سيبويه عنه ويقول « سمعت الثقة » وكان حقيقة من ثقات اللغويين • ترك لنا « النوادر » الذي أنقل عنه هنا و « الهمز » و « المطر » و « اللبأ واللبن » وكل هذه الكتب مطبوعة • أما الكتب التي لم تطبع فكثيرة ذكرها صاحب **وفيات الاعيان** في الجزء الاول صفحة ٢٠٧ • توجد أخبار عنه في « **جمهرة الانساب** » صفحة ٣٥٢ • وفي تاريخ بغداد في الجزء التاسع منه ، صفحة ٧٧ وفي **نزهة الالبا** صفحة ١٧٣ وفي انباء الرواة الجزء الثاني • ابتداء من صفحة ٣٠

٦٩ ـ النوادر في اللغة ، صفحة ٥٧ ، السطر الخامس •

٧٠ ـ نفس المصدر ، صفحة ٥٨ السطر الثامن

ويقصد بالابيات بيتين رواهمـا أبو الغول للمفضـل الضبي[٧١]

---

٧١ ـ هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن مسالم ، الضبي النحوي اللغوي • اخذ القراءة عن عاصم • روى عنه ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء وكذا على ابن حمزة الكسائي وغيرهما • قدم المفضل بغداد في أيام هارون الرشيد • يعتقد بعض المؤرخين انه ولد في العشـر الاول من القرن الثاني ، واسر في الوقعة وكانت سنة ١٤٥ •

اخبرنا الحافظ الذهبي في كتابه « تاريخ الاسـلام » ( لا زال مخطوطا ) و كذا في مؤلفه « ميزان الاعتدال » الجزء الثالث ، صفحة ١٩٥ ووافقه في هذه الرواية الحافظ أبو الخير محمد بن محمـد الدمشقي ( ابن الجزري ) في كتابه **« غاية النهاية في طبقات القراء »** الجزء الثاني صفحة ٣٠٧ ان المفضل توفي سنة ١٦٨ هجـرية وهذا مردود ما دام الجميع متفقا على دخول صاحبنا بغداد أيام هـارون الرشيد الذي لم يل الخلافة الا سنة ١٧٠ •

يعتقد كثير من المؤرخين انه توفي سنة ١٧٨ هجرية وهو أمـر تؤيده نصوص كثيرة • « والمفضليات » وهو من كتب الاختيـار من صنع المفضل الضبي ، وأعتقد انه أول اختيار في ميدان الشـعر تلاه بعد ذلك كتاب « الاصمعيات » من اختيار ابي سعيد عبدالمالك بن قريب الاصمعي ، ثم « جمهرة اشعار العرب » من صنع ابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي • ثم « مختارات شعراء العرب » من اختيار ابي السعادات ابن السجري ، ثم « ديوان الحماسة » لابي تمام ، وآخر للبحتري وثالث لابي هلال العسكري ورابع للاعـلم الشـنتمري اه

واقدم طبعة للمفضليات هي التي قام بها المستشرق توريكـة ، انجزت في ليبزيج سنة ١٨٨٥ ثم تلتها طبعة اخرى كاملة في جزأين في مصر سنة ١٣٢٤ • ( لم يطبع في ليبزيج الا جزء واحـد ) ثـم طبعة ثالثة مع شرح الانباري تكفل بها المستشرق Sir Charles James Lyall وذيلها بتعليقات مع ترجمتها الى الانجليزية ثم وضع فهارسها Ashley Bevan في مجلد ، ظهرت هذه الطبعـة سنة ١٩٢٠ •

كمـا نعرف طبعة أخرى للمفضليات باشراف الاسـتاذ حسـن السندوري الذي أخرجها للناس مع شـرح موجز سنة ١٣٤٥ •

=

سمعهما الاول من بعض أهل اليمن[٧٢] ، وهما :

اي فلوص[٧٣] راكب تراها

طاروا عليهن فشل علاها[٧٤]

واشدد بمثني حقب حقواها

ناجية وناجياً أباها[٧٥]

فليس هنا اذن «لغة» بالمعنى الذي نعرفه الآن حتى يجوز لنا أن نقول : ان « علاها » قول لأمة ، و « عليها » قول آخر لامة أخرى، بل لا يعدو الامر أن يكون في الحقيقة خلافا بين قبيلة وقبيلة داخل أمة واحدة تتكلم لغة واحدة • أما تبرير وجود هذا الخلاف ، فمن السهولة بمكان • ذلك ان قبيلة ما داخل الامة العربية ــ وهي هنا قبيلة بني الحارث ــ لا يساعفها النطق بالياء بعد الفتح أبدا ، لانها لم تألفها ، لا نطقا ، ولا سمعا ، ولن يفلح أحد في حمل أفرادها على النطق بغير ما تعودت وبعكس ما ألفت ، ولو بذل ما بذل من

---

وآخر طبعة نعرفها للمفضليات هي التي حققها الاستاذان أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون والتي ظهرت منها حتى الان ثلاث طبعات (١٩٦٤) • •

٧٢ ـ قال أبو حاتم سألت عن هذه الابيات أبا عبيدة : فقال : « انقض عليه هذا ، صنعه المفضل • »

٧٣ ـ مؤنثة •

٧٤ ـ أراد ناظم الابيات « عليها » وهذه هي لغة بني الحارث بن كعب الذين يقلبون الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا يقولون : « أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان والسلام علاكم » •

٧٥ ـ يمكن أن يكون أراد بـ « أباها » « أبوها » ، فجاء به على لغة من قال هذا أباك في وزن « هذا قفاك » وكذا كان القياس • وقال بعضهم ولكن يقال أب وأبان كقولك يد ويدان ودم ودمان فأراد الاثنين ( النوادر في اللغة ) •

الجهد ، ولو حاول من التمرين والتطبيق ، ولو أتى بما أتى من الشرح والتأويل ، وان قبيلة أخرى لا يساعفها النطق بما نطقت به بنو الحارث لانها ترى فيه مدعاة ، تارة للالتباس بالمثنى المرفوع – وكثير من القبائل تفر من الالتباس ولو خالفت القاعدة النحوية – وطورا معاكسة ما أسميه بـ « المجانسة الصوتية » التي ألفت التلفظ بها وتعودت سماعها ، مجانسة لا تريد بها بديلا ، لا سيما وقد بنت عليها قواعد صوتية لا تحصى ، رسخت بين عشائرها ، ونبتت بين أفرادها ، ولا سبيل الى اقتلاعها بحال من الاحوال .

**١٠٢٠٣ نص قديم يوضح الفكرة السابقة**

أما الدليل على أن أفراد قبيلة ما لا يستطيعون أن يتحولوا عن نطقهم الى نطق آخر، فهو ما سجله لنا أبو الفتح عثمان ابن‌جني[٧٥] آ الذي قال : « وأخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد القرمسيني[٧٦] عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني[٧٧] عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني[٧٨] ، في كتابه الكبير في القراءات قال : « قرأ عليّ

---

٧٥آ – أنظر ترجمته في نزهة الالباء من ٤٠٨ من الطبعة الاولى – الكامل لابن الاثير في حوادث سنة ٣٣٧ .

٧٦ – ضبطها صاحب القاموس بكسر القاف وضبطها صاحب معجم البلدان بفتحها . أورده ابن الجزري في كتابه « طبقات القراء » في الصفحة السابعة من الجزء الاول فقال : « ابراهيم بن أحمد بن الحسن بن مهران أبو اسحق القرماسيني » ويقول ابن جني عن هذا القارىء : « فأما ما رأيناه في ذلك فكتاب ابي حاتم سهل بن أحمد القرميسيني » لا أعرف سنة وفاته ، وهو قطعا من معاصري ابن جني في القرن الرابع .

٧٧ – اختلف أصحاب التراجم في اسمه ، فمن قائل انه « محمد بن مقرون » كما في أحد النسخ الخطية لكتاب **المحتسب** وسماه ابن الجزري في « **غاية النهاية في طبقات القراء** » الجزء الثاني ، صفحة ٢٧٣ ، بـ « محمد بن هارون الطبري » والروياني بضم الراء =

أعرابي بالحرم : « طيبى لهم وحسن مآب »[٧٩] فقلت: طوبى، فقال: طيبى ، فأعدت فقلت : طوبى[٨٠] ، فقال طيبى[٨١] ، فلمال طال علي

---

و سكون الواو وفتح الياء آخر الحروف وبعد الالف نون ، هـــذه نسبة الى رويان : وهي مدينة بنواحي طبرستان خرج منها جماعة من أهل العلم • ( أنظر اللباب في تهذيب الانساب الجزء الثاني ، صفحة ٤٤ ، السطر التاسع • )

٧٨ ـ توفي سنة ٢٥٥ هجرية ، كان امام البصرة في اللسانيات والعروض والقراءة • يعتقد ابن الجزري انه أول من صنف في القراءات • لزمه المبرد ، عالم اللسانيات المشهور ، زمنا طويلا أخذ عنه ، لـه ، من المصنفات التي طبعت « المعمرين » و « النخلة » و « الاضداد » الذي نشره في بيروت سنة ١٩١٢ و١٩١٣ المستشرق August Haffner مع كتب أخرى في الاضداد لابن السكيت والصغاني والاصمعي مع حواش للاب انطون صالحاني اليسوعي •

Drei arabische Queilenwerke über die Addàd, mit Beiträgen von P.A. Sa:hani S. J. und einem spätarabischen Anhange.

والتي لم تنشر ، في علمي على الاقل : كـ «الوحوش» و«الحشرات» و« الشوق الى الوطن » و « العشب والبقل » و « الفـرق بـين الآدميين وكل ذي روح » و « المختصـر » وهو في النحـــو على مذهب سيبويه •

٧٩ ـ الآية ٢٩ السورة الثالثة عشرة ، الرعد • والآية بأكملهـا هـي : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » •

٨٠ ـ هذه قراءة الجمهور بلا خلاف بينهم • لكنهم اختلفوا في تأويـــل هذا النطق ، فمنهم من قال انها جمع « طيبة » قاسوه بـ «كوسى» في «كيسة» و «صوفي» في «صيفة» • على رأس القائلين بهذا القول أبو الحسن الهنائي ( بضم الهاء وفتح النون وبعد الالف ياء مثنـاه من تحتها ـ هذه النسبة الى هناءة بن مالك فهد بن غنم بن دوس، بطن من الاوس ينسب اليه نفر ) (أنظر اللباب في تهذيب الانساب، الجزء الثالث ، صفحة ٣٩٣ السطر الخامس •

قلت : طوطو ، قال : ( طي‌طي)[٨٢] • أفلا ترى الى هذا الاعرابي ، وأنت تعتقده جافيا كزا ، لا دمثا ولا طيعا ، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو الى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هزّ ولا تمرين ، وما ظنك به اذا خلي مع سـومه[٨٣] وتساند الى

=

وان هذا التأويل الذي صدر عن هذا الفريق لغريب جدا ، لان فعلى ليست من الفاظ الجموع الا ان كانوا يعنون اسـم الجمع • ومنهم من قال هي مفرد مصدر ، كبشرى ورجعى وعقبى • لكنهـم حتى في هذه الحالة المقبولة التي نتبناها لانها معقولة يختلفون فيما بينهم في مدلولها • فمن قائل « غبطة لهم » يوجد على رأس هـذا الفريق الذي قال بهذا التفسير الضحاك • ومنهم من رأى انها تعني « نعمى لهم » تقول بهذا جماعة على رأسها عكرمة • ومنهـم مـن رأى انها تدل على « فرح وقرة عين » قال بهذا جماعة على رأسهم ابن عباس • ورأت جماعة أخرى يترأسها قتادة أن« طوبى لهـم » تعني « حسنى لهم » وهي كما ترى ، أقوال متقاربة • ويظهر ان هذه اللفظة من أصل حبشي • ( أنظر البحر المحيط : الجزء الخامس صفحة ٣٨٩ ، السطر ٢٧ • )

٨١ ـ قرأها هكذا أي « طيبى » بكرة الاعرابي لتسلم الياء من القلب وان كان وزنها « فعلى » ( انظر أبا حيان الغرناطي ، توفي سنة ٧٥٤ في تفسيره البحر المحيط ، الجزء الخامس ، صفحة ٣٩٠ السـطر التاسـع ) •

٨٢ ـ حاشية محقق « الخصائص » لابي الفتح عثمان بن جني الاسـتاذ محمد علي النجار ، جاء فيها : « كتب هكذا بفصل الكلمتين ، فانه لا يريد تكوين كلمة من هذين المقطعين ، وفي هامش أ• أ« طيطي » ( الحاشية رقم ١ في صفحة ٨٦ من الخصائص ، الجزء الاول ) والنسخة الخطية التي أشار اليها المحقق في حاشيته ب أ• هي نسخة خزانة المدرسة الحنفية بجامع صرغتمش بجوار جامع ابن طولـون وتحمل رقم ١١٠ نحو ( أنظر مقدمة تحقيق الخصائص ) •

٨٣ ـ أي تركه يفعل كيف يشاء • وأصل ذلك في الماشية وهي ترسل في المرعى حيث شاءت • فيقال : خلاها وسومها • ( الحاشية رقـم ٢ لمحقق الخصائص )

سليقته[٨٤] ونجره .

وسالت يوما أبا عبدالله بن العساف العقيلي الجوتي ، التميمي ـ تميم[٨٥] جُوتة ـ فقلت له : كيف تقول : ضربت أخاك ؟ قال : أقول ضربت أخاك . فأدرته[٨٦] على الرفع ، فأبى ، وقال : لا أقول : أخوك أبدا . قلت : فكيف تقول : ضربني أخوك ، فرفع . فقلت : ألست زعمت أنك لا تقول : أخوك أبدا ؟ فقال : أيش هذا ! اختلفت جهتا الكلام . فهل هذا الا أدّل شيء على تأملهم مواقع الكلام، واعطائهم اياه في كل موضع حقه ، وحصته من الاعراب ، عن ميزة وعلى بصيرة ، وانه ليس استرسالا ولا ترجيما . ولو كان كما توهمه هـذا لكثر اختلافه ، وانتشرت جهاته ، ولم تنقد مقاييسه . وهذا موضع نفـرد « بابا باذن الله تعالى فيما بعد »[٨٧] .

**٠١ ٠٢ ٠٤ استمرار استعمالهم « لغة » مكان « لهجة » زمنا طويلا**

ونجد لهذه اللفظة نفس الاستعمال بعد قرن من الزمن تقريبا ، نجدها بعد سيبويه والانصاري عنـد اللغوي أبي يوسف يعقوب بن

---

٨٤ ـ يقال فلان يقرأ بالسليقة اذا كان يقرأ بطبعه لا عن تعلم . والنجر: الاصل والطبيعة ( حاشية الخصائص ) .

٨٥ ـ بضم الجيم وسكون الواو : اسم حي او موضع نسبت اليه تميم. وتميم تقرأ بالنصب أي أعني ، وسمع جرها على حذف المضـاف وابقاء جر المضاف اليه أي صاحب تميم ، وللكوفيين في الجـر توجيه آخر ، وانظر الصبان في أول النسب . (حاشية الخصائص).

٨٦ ـ يقال : ادرت فلانا على الامر اذا حاولت الزامه اياه . ( حاشـية محقق الخصائص )

٨٧ ـ الخصائص ، الجزء الاول ، السطر ما قبل الاخير في الصفحة ٧٥

=

اسحاق المعروف بابن السكّيت[٨٨] قال في كتابه « اصلاح المنطق[٨٩] » : « ويقال الصرع[٩٠] لغة قيس والصرع[٩١] لغة تميم .

---

٨٨ – ازداد ( وُلِدَ ) ابن السكيت سنة ١٨٦ هجرية ( ٨٠٢ ميلادية ) . يقول ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » صفحة ٤٠٨ من الجزء الثاني من طبعة بولاق عن لقبه « والسكيت لقب ابيه عرف بذلك لانه كثير السكوت ، طويل الصمت » ينسب الى دورق وهي بلدة من أعمال خوزستان من كور الاهواز . كان الابن اماما في اللغة والادب ، تعلم ببغداد واتصل بالمتوكل العباسي . ترك لنا من المصنفات : « اصلاح المنطق » و « الالفاظ » و « الاضداد » و « القلب والابدال » و « شرح ديوان عروة بن الورد » و « شرح ديوان قيس بن الخطيم » وكل هذه الكتب طبعت . أما التي لم أطلع عليها مطبوعة فهي « الاجناس » و « سرقات الشعراء » و « الحشرات » و « الامثال » و « شرح شعر الاخطل » و « تفسير لشعر ابي نواس » و « شرح الاعشى » و « شرح شعر زهير » و « غريب القرآن » و « النبات والشجر » و « النوادر » و « معاني الشعر » و « شرح شعر ابن ابي ربيعة »

٨٩ – يعد كتاب ( اصلاح المنطق من كتب لحن العامة خلافا لما يعتقده البعض وعلى رأسهم جرجي زيدان ( تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٨ ) الذي ظنه في « المنطق » وفي علوم من العربية أخرى . ولقد أراد ابن السكيت أن يعالج به داء كان قد استشرى في لغة العرب والمستعربة . ألف قبله في نفس الموضوع كل من الكسائي ( توفي سنة ١٨٩ هجرية موافق ٨٠٥ ميلادية ) كتابا سماه « لحن العامة » وأبي الهيدام ( من علماء القرن الثالث الهجري ) ، والفراء ( المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية موافق ٨٢٢ ميلادية ) كتابا سماه « البهاء فيما تلحن فيه العامة » . وأبي عبيدة ( المتوفى سنة ٢١٦ هجرية موافق ٨٣١ ميلادية ) كتابا في نفس الموضوع ولقد اهتم بكتاب « اصلاح المنطق » علماء اللغة اهتماما كبيرا فتصدوا له يشرحونه تارة ويختصرونه أخرى . قتله المتوكل سنة ٢٤٤ هجرية موافق ٨٥٨ ميلادية .

٩٠ – بكسر الصاد .

٩١ – بالفتح .

وكلاهما مصدر صرعت[٩٢] • » وقال في نفس الكتاب : « رفقة[٩٣] ورفقة[٩٤] لغة قيس وتميم[٩٥] » •

فاذا أرادوا تقسيم هذه اللهجات نعتوها ، فكانت عندهم « اللغة الفصيحة » و « الفصحى » و « العليا » و « العاليا » و «الرديئة» و «القبيحة» وغير ذلك من الصفات ، رأينا بعضها فيما سبق من الشواهد وسنرى الباقي فيما يستقبل •

كما نجد للفظة « لغة » بعد قرنين وربع نفس المدلول تماما • ذلك أن أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد[٩٦] ، يقول وهو يحاول حل لغز أصل أسماء ولد المطلب بن عبد مناف : « واشتقاق مسطح من شيئين ، اما من عمود الخباء الذي يلي السطاح ، والجمع مساطح ، أو هو من السطح ، وهو مربد التمر بلغة أهل نجد •»[٩٧]

---

٩٢ ـ « اصلاح المنطق » صفحة ٣١ ، السطر الثاني •
٩٣ ـ بكسر الراء •
٩٤ ـ بالضم •
٩٥ ـ اصلاح المنطق ، صفحة ١١٥ •
٩٦ ـ هو محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، أبو بكر ، ازداد سنة ٢٢٣ هجرية موافق ٨٣٨ ميلادية • قال عنه أبو الطيب اللغوي في مراتب اللغويين صفحة ٨٤ : « هو الذي انتهى اليه علم لغة البصريين ، وكان احفظ الناس وأوسعهم علما واقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الاحمر وابن دريد • وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة • » خلف لنا مؤلفات مهمة منها : « المقصور والممدود » و « المجتنى » و « صفة السرج واللجام » و « الملاحن » و « السحاب والغيث » وكلها مطبوعة متداولة • كما ترك لنا مصنفات ما تزال مخطوطة ، مثل « شرح المقصور والممدود » و « ذخائر الحكمة » وغيرهما •
٩٧ ـ الاشتقاق ، صفحة ٨٦ ، السطر ١١ •

وقال في نفس الباب : « وركانة ، فعالة من قولهم ركنت الى الشيء أركن ركانا ، وهي اللغة العالية » .

وقال وهو بصدد الحديث عن قبائل يربوع بن حنظلة : « وجمع معذرة ، معاذير . وفسر قوم قوله عز وجل : « ولو ألقى معاذيره »[98] ، وهي لغة أزدية بـ « الستور »[99] . الواحد « معذار »[100] » .

وقال وهو يدرس أسماء الاعلام في قبائل سليط : « وقال بعض الرجاز[101] :

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
غير أعفاء ولا آكيات[102]

أراد : الناس ، والاكياس ، وهي لغة لهم[103] » .

وهكذا صار ابن دريد يستعمل لفظة « لغة » في مكان « لهجة » كما فعل الآخرون قبله .

---

٩٨ ـ الآية ١٥ من السورة الخامسة والسبعين ، القيامة .
٩٩ ـ في المطبوع المتداول بين الناس : « وهي لغة ازدية ، وهي الستور »: كلام غير مستقيم .
١٠٠ ـ **الاشتقاق** ، صفحة ٢٢٢ ، السطر الرابع
١٠١ ـ هو علباء بن أرقم كما في **نوادر** ابن زيد ، صفحة ١٠٤ وفي **اللسان** مادة ( نوت ) ، وانظر كذلك الحيوان الجزء الاول ، صفحة ١٨٧
١٠٢ ـ **الاشتقاق** ، صفحة ٢٢٧ ، السطر ١٢ .
١٠٣ ـ اورده كذلك أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري ، في **النوادر في اللغة** : صفحة ١٠٤ ، الطبعة الثانية لبنان ١٣٨٧

## ٥٠٢٠١ حد اللغة في هذه العصور التي تهمنا

لم نهتم حتى الآن بتعريف لكلمة « لغة » عند الاقدمين علما منا انهم لم ينشغلوا بتحديدها كانشغال علماء اللسانيات في العصر الحديث • ومع ذلك يحسن أن نقدم بعض تعريفاتهم لها ، لنكون فكرة ، ولو تقريبية ، في الموضوع • وان أحسن تعريف ، في نظري، للغة ، عند الاقدمين هو الذي قدمه لنا العالم اللغوي الكبير ابن جني ، قال : « أما حدها فانها أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم • هذا حدها • وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها : أمواضعة هي أم الهام • وأما تصريفها ومعرفة حروفها فانها فعلة من لغوت • أي تكلمت ، وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة ••• »(١٠٤) •

نلاحظ من هذا ان ابن جني لا يستطيع ، أو على الاصح لا يريد أن يقدم تعريفا للغة دون أن يتحدث عن أمور متشعبة ستبقى حتما جوانب منها غامضة على كل حال •

هذه الصعوبة التي جعلت ابن جني يحجم عن التفكير في تعريف شامل للغة هي التي أحس بها في عصرنا الحاضر العالم اللغوي الفرنسي André Martinet (١٠٥) الذي لم يحاول أن يقدم تعريفا للغة(١٠٦) دون ادخال الوحدات ذات الدلالة(١٠٧) فيه •

---

١٤٠ ـ **الخصائص** ، الجزء الاول ، صفحة ٣٣ ، في أولها.

١٠٥ ـ ازداد سنة ١٩٠٨ وهو حاليا مدير الدروس بمدرسة الدروس العليا واستاذ بالسربون بباريس •

١٠٦ ـ انظر Clefs pour la sémantique للعالم اللغوي Georges Mounin صفحة ١٦ •

١٠٧ ـ افضل ان اترجم Les unités significatives بـ « الوحدات ذات الدلالة » او الوحدات الدالة • انظر الحاشية رقم ٤٣

وعرفها ابن الحاجب[108] فقال : « حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى »

وقال الاسنوي[109] في شرح منهاج الاصول : « اللغات عبارة عن الالفاظ الموضوعة للمعاني »[110] •

ودقق النظر أكثر في اللغة الفقيه الشافعي الكيا الهراسي[111]

---

١٠٨ ـ هو عثمان بن عمر بن بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب ، فقيه مالكي من علماء العربية ولد في اسنا ( من صعيد مصر ) سنة ٥٧٠ هجرية موافق ١١٧٤ ميلادية ، نشأ في القاهرة وسكن دمشق ، من كتبه المطبوعة « الكافية » و « الشافية » الاولى في النحو والثانية في الصرف و « المقصد الجليل » في العروض و « منتهى السول والامل في علمي الاصول والجدل » و « مختصره » وهما في أصول الفقه : ومن كتبه التي لا زالت مخطوطة « مختصر الفقه » و « الامالي النحوية » و « الايضاح » يشرح به المفصل للزمخشري و « جامع الامهات » في الفقه • مات في الاسكندرية ٦٤٦ هجرية موافق ١٢٤٩ ميلادية

١٠٩ ـ هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي الاسنوي ، نسبة الى اسنا (انظر معجم البلدان ) التي ولد بها سنة ٧٠٤ هجرية موافق ١٣٠٥ ميلادية ، فقيه شافعي وعالم لغوي كبير لا أعرف له من الكتب المطبوعة الا اثنين هما : « نهاية السول شرح منهاج الاصول • » ( انظر الحاشية ١٠٨ ) و « التمهيد » في الفقه ، في تخريج الفروع على الاصول • ومن مصنفاته التي لا زالت مخطوطة « نهاية الراغب » وهو في العروض • و « الكوكب الدري » في استخراج المسائل الشرعية من القواعد النحوية ، و « جواهر البحرين » و « الهداية الى أوهام الكفاية » • توفي سنة ٧٧٢ هجرية ١٣٧٠ ميلادية •

١١٠ ـ أنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للامام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ، الجزء الاول ، صفحة ٨ من بدايتها •

١١١ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بعمادالدين المعروف بالكيا الهراسي ، فقيه شافعي ، مفسر • ولد في طبرستان وسكن بغداد ، توفي سنة ٥٠٤ هجرية ( من المزهر صفحة ٣٦ ، حاشية رقم ١ ) •

فعرفها بتعريف علمي دقيق ، قريب جدا مما يذهب اليه الآن علماء اللسانيات في عصرنا الحاضر ، الا أن تعريفه ، كما كان منتظرا ، جاء منطبقا على اللغة التي يتقنها ، وهي اللغة العربية ، قال في تعليقه في أصول الفقه :

« وهذا الكلام انما هو حرف وصوت ، فان تركه سدى غفلا امتد وطال ، وان قطعه تقطع ، فقطّعوه وجزّءوه على حركات أعضاء الانسان التي يخرج منها الصوت وهو من أقصى الرئة الى منتهى الفم ، فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لا تزيد على ذلك ، ثم قسموه على الحلق والصدر والشفة واللثة ، ثم رأوا أن الكفاية لا تقع بهذه الحروف التي هي تسعة وعشرون حرفا ، ولا يحصل له المقصود بافرادها ، فركبوا منها الكلام ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا . هذا هو الاصل في التركيب ، وما زاد على ذلك يستثقل ، فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف الا بطريق الالحاق والزيادة لحاجة . وكان الاصل أن يكون بازاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير أنه لا يمكن ذلك ، لان هذه الكلمات متناهية ، وكيف لا تكون متناهية ومواردها ومصادرها متناهية ؟ فدعت الحاجة الى وضع الاسماء المشتركة ، فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة[112] » .

١١٢ – من المزهر للسيوطي ، الجزء الاول ، صفحة ٣٦ ، السطر الثاني عشر .

## الفصل الثاني

# في العصور الحديثة

### ٠١ · ٠٢ · تعاريف غيرنا

لقد عرف علماء اللغة المعاصرون من غير العرب «اللغة» بتعاريف كثيرة • سأقدم بعضها حسب ترتيب تحكمي لا أراعي في وضعه الا الفائدة التي يقدمها لفكرة نشأة اللغة التي جعلتها من نقط هذا المؤلف(١١٣) •

### ٠١ · ٠٢ · ٠١ التعريف الاول

هو التعريف الذي تركه لنا العالم اللغوي الالماني Wilhelm von Humboldt (١١٤) • أعطيت لتعريفه الاسبقية على كل التعاريف الاخرى :

أولاً لان هذا العالم اللغوي هو من مخضرمي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • لهذا استطاع أن يجمع ، لكن بذكاء مفرط ، بين النزعات المختلفة موفقا بينها أحسن توفيق •

ثانيا لأننا نلاحظ في أفكاره حول اللغة ما يساعدنا على فهم قضية « نشأة اللغة » • ذلك أن أفكاره تعبر ، أصدق تعبير ، عن

---

١١٣ ـ لن أخصص خبرا مستقلا للحديث عن قضية « نشأة اللغة » لامرين ، لانني : من جهة سأبحث فيها خلال عرضي للفقرات الكثيرة القادمة ، ولانني من جهة أخرى ، اعتقد انه لم يبق التطرق لها ، من اجل البحث فيها وحدها ، أمرا ذا بال •

١١٤ ـ ازداد سنة ١٧٦٩ • كان ذا ذكاء خارق وتفكير عميق • أسس سنة ١٨١٠ جامعة برلين ، أصبح وزيرا سنة ١٨١٨ ، أتقن لغات كثيرة وألف دراسات مقارنة لأكثر اللغات التي كان يتقنها • نشرت دراساته على الناس في نشرة ظهر أول جزء منها سنة ١٩٠٣ وآخر جزء منها سنة ١٩٣٦ تحت عنوان
Wilhelm von Humbolds Werke
وهي الان في ١٧ مجلدا • مات سنة ١٨٣٥ •

مذاهب الفلاسفة الذين اهتموا بماهية الكلام ، واللغة بالنسبة للفكر والثقافة ، وأصل الانسان ، ومآله بصفة عامة ، مثل كوندياك وتلميذه Court de Gébelin [١١٥] ، كما تعبر في الوقت نفسه عن مذاهب الكتاب مثل الكاتبين الالمانيين J. G. Hamann [١١٦] و J. G. von Herder [١١٧] •

ثالثاً لأنه كان المشجع الاكبر للدراسات المقارنة التاريخية • ولعل الذي دفعه الى هذا عاطفته الرومانسية التي كانت قد عمت أكثر بلدان أوروبة في ذلك العصر •

واننا لنعلم أن هذه العاطفة الرومانسية لتترجم عند أمثال هؤلاء العلماء « بحنين عميق مُوجّه نحو الماضي وتطلع شديد الى مجاهيله وغوامضه ، وبصفة خاصة مسائل أصل الانسان ، وأصل لغته وسر وجود الفكر مع اللغة عند الآدميين • »[١١٨]

رابعاً لأن هومبولت من العلماء القلائل في ذلك العصر الذين لم يعتمدوا بشكل كلي ، ليحلوا المشاكل اللغوية ، على النظر والتأمل ، والحديثة وببحثهم عن الغايات التي كتبت من أجلها هذه النصوص بل آمنوا بضرورة البحث الاستقرائي ، وذلك بتتبع النصوص القديمة ثم تحليلها تحليلا علميا دقيقا •

---

١١٥ ـ ازداد سنة ١٧٢٥ وتوفي سنة ١٧٨٤ •
١١٦ ـ ازداد سنة ١٧٣٠ ومات سنة ١٧٨٨ •
١١٧ ـ كاتب وفيلسوف الماني عاش من سنة ١٧٤٤ الى ١٨٠٣ •
١١٨ ـ استعنت كثيرا هنا في بعض الفقرات الآتية بما كتبه الاستاذ عبدالرحمن الحاج صالح في مقاله « مدخل الى علم اللسان الحديث » المنشور في مجلة « اللسانيات » وهي مجلة تهتم بعلم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر ، اخذت الفقرة اعلاه من المجلد الثاني للمجلة المذكورة : الصادرة سنة ١٩٧٢ صفحة ٢٣

وتعريف هذا العالم للغة هو :

« ان اللغة جهاز عضوي ويجب أن يُعالج على هذا الاساس • ولذا فان اللغة ، اعتمادا على هذا التعريف ، نظام عضـوي وبنيه (Sprachform) وصورة باطنيـه (Innere Sprachform) مخالفـة للصورة الظاهرية للكلام • واللغة عنده أيضا شرط لازم لوجـود الفكر ، يقول : « ان عملية الكلام تنحصر كلها في منحها للفكر مادة يعتمد عليها ، بازالتها الابهام بفضل ما تتركه الاصوات المقطعـة من اثر ثابت ، باجبارها الذهـن على أن تنتظم جميع معانيها بانتظـام الالفاظ المتعاقبة • »(١١٩)

وفرق كبير بين ما كان يراه أرسطو قديما من أن « اللغة مـرآة صادقة العقل • » وما رآه العالم اللغوي هومبولت •

لقد رأى هذا الاخـير أن اللغة « هي العضو الذي يصـوغ الفكر » • وهو رأي استحوذ على تفكير علماء العصر الحاضـر ، فاستمدوا منه المبدأ الذي نسميه « اشتراط اللغة » Principe du determinisme linguistique وكان ، بعد أن أعلن عن هذا الـرأي ، وهو أن اللغة عضو يصوغ الفكر ، أمام مشكل عليه أن يجد له حلا• فالمعانى لا حصر لها ولا عد ، ولا حدود ولا نهاية • فكيف تستطيع لغة ليس لها الا وسائل محصورة العدد التعبير عنها • كان حلّه لهذا الاشكال بسيطا للغاية • لقد اكتفى بأن بين أن النشاط الذي يُحدِث الفكر هو نفسه الذي يحدث اللغة •

---

١١٩ ـ انظر Lettre à M Abel Rémusat الموجـودة في كتـاب "De l'origine des formes grammaticales et de leur influence sur le développement des idées" p. 86.

ومن هنا كان يقول : « ان الكلام في الحقيقة شيء يمر على الدوام ، بل وفي كل لحظة ، فالكلام ليس في ذاته ما يحدثه الحدث ( أثر الفعل ) بل حدث النشاط ( الفعل نفسه ) .

لنا على هذا ملاحظتان :

٠١ ٠٢ ٠٣ الملاحظة الاولى

ان هومبولت يتفق ، كما نرى مع هذه المناقشات اللغوية التي كانت تدور قديما بين المعتزلة وغيرهم من المتكلمين . لا سيما وقد رأيناه يستعمل ، لتوضيح هذه الفكرة اللفظة الالمانية Erzeugue التي لا حصر لها . » ( أنظر ٠١ ٠٢ ٠١ ) لا سيما وان « تيارا ذاتها التي استعملها المعتزلة وغيرهم من المتكلمين حين كانوا يتحدثون عن ماهية الكلام الذي حدده الجرجاني هكذا : « هو أن يحصل الفعل عن فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح بحركة اليد . »

الا أن هومبولت يريد منا أن نبحث عن الفعل الذهني الفيزيولوجي الذي يحصل بواسطته الكلام . ذلك أنه ينظر الى اللغة نظرة حركية لا نظرة سكونية ، وبهذا فقط ندرك ما يرمي اليه حين يوضح أن الكلام في حد ذاته ليس بالشيء المحدث بالحدث ، بل حدثا ، أي فعلا ونشاطا .

٠١ ٠٢ ٠٤ الملاحظة الثانية

من الجائز أن يعتقد الناس أن هومبولت كان الرائد الاول حين وجد حلا للمشكل الذي يسميه « الفاظ اللغة محدودة بالنسبة للمعاني التي لا حصر لها . » ( انظر ٠١ ٠٢ ٠١ ) لا سيما وان « تيارا كاملا من الابحاث اللغوية التي نشرت في مطلع القرن العشرين من Croce الى Cassiner ومن Weisgerber الى Whorf

قد أمكن تحديده بارجاعه الى Humboldt . وسمي هذا التيـار « بعلم اللغة الهومبولدي الجديد »[١٢٠] .

الا أن الواقع عكس ذلك ، فالعرب قد سبقوا الى هذه الفكرة وحللوها من جميع جوانبهـا وأعطوا فيها كلمتهم التي لا تتبـاين في شيء عما وصل اليه علم اللغة الحديث . ويكفي أن أورد ما صرح به الامام فخرالدين الرازي[١٢١] وأتباعه في الموضوع لنقتنع بذلك . قال:

« لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ لان المعاني التي يمكـن أن تعقل لا تتناهى ، والالفـاظ متناهية ، لانها مركبة من الحـروف ، والحروف متناهية ، والمركب من المتناهي متناه ، والمتناهي لا يضبط ما لا يتناهى ، والا لـزم تناهي المدلولات . قالوا : فالمعـاني منها

---

١٢٠ ـ أنظر « تاريخ علـم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشـرين » ترجمة الدكتور بدرالدين القاسم ، صفحة ١٩٦

١٢١ ـ هو محمد بن عمر بن الحسني اليمني البكري الامام فخرالـدين الرازي . ازداد في الري سنة ٥٤٤ هجرية وقيل ٥٤٣ ( موافق ١١٥٠ ميلادية ) من مصنفاته التي طبعت « شرح أسـماء الله الحسنى » و « شرح قسم الالاهيات من الاشارات لابن سـينا » وتهذيب المسمى ب « لباب الاشارات » و « الاربعـون في أصـول الدين » و « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » وهذا في البلاغـة. و « أساس التقديس » وهي في التوحيد و « المباحث الشرقية » و « المسائل الخمسون في أصول الكلام » و « محصـل افكـار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » و « معالم أصول الدين » و « لوامع البينـات في شرح أسماء الله تعـالى والصفات » و « مفاتيح الغيب » وهو في التفسير في ثماني مجلدات وله مصنفات اخرى ما زالت مخطوطة . توفي حسب ما جـاء في « طبقات الشافعية الكبرى » لتقيالدين السبكي الجزء الخامس، صفحة ٣٩ السطر الثاني يوم الاثنين . وكان يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هجرية موافق ١٢١٠ ميلاديةوكانت وفاته بهراة .

ما تكثر الحاجة اليه ، فلا يخلو عن الالفاظ لان الداعي الى وضع الالفاظ لها حاصل ، والمانع زائل ، فيجب الوضع ، والذي تقدر الحاجة اليه يجوز أن يكون ألفاظا والا يكون »[١٢٢] .

فهذا ، كما نرى رأي سديد للغاية لا يقوم حجة فقط على أن العرب سبقوا هومبولت لهذه الافكار ، وانما يأتي بأشياء أخرى لا تقل أهمية عن الاولى سأتعرض لها في مظنتها المناسبة .

### ١٠٠٢٠٠٥ التعريف الثاني

من المعلوم أن سنة ١٨١٦[١٢٣] كانت بحق سنة ميلاد علوم اللغة بالنسبة لاجيال عديدة من اللسانيين بأوروبة . ذلك ان Franz Bopp العالم الالمانى الشهير[١٢٤] أصدر ، في هذه السنة ، كتابا حلل فيه ، ولاول مرة في التاريخ ، عدة لغات من الوجهة التاريخية ، وعلى أساس المقارنة لغرض علمي بحت[١٢٥] ، بعيد عن تلك التأملات الفلسفية

---

١٢٢ ـ انظر المزهر ، الجزء الاول ، صفحة ٤١ ، السطر الثالث

١٢٣ ـ أي قبيل وفاة هومبولت بتسعة عشر عاما . وقبل قرن تماما من طبع كتاب العالم اللغوي الكبير Fe:dinand de saussure

١٢٤ ـ ازداد في مدينة ماينز سنة ١٧٩١ . تعلم الفلسفة على يد Windischmann والعربية في باريس من سنة ١٨١٢ الى سنة ١٨١٦ على يد المستشرق Syivestre de Sacy كما تعلم الفارسية والعبرية على يد المستشرق Chezy . كان لبوب الفضل في ارساء المعالم لدراسة اللغة الكلتية التي خصها بكتاب عنوانه « اللغات الكلتية في ضوء الاسلوب المقارن » الذي ظهر لاول مرة سنة ١٨٣٨ ، توفي بوب سنة ١٨٦٧ .

١٢٥ ـ أريد أن أثير الانتباه الى قولي : ( الوجهة التاريخية على أساس المقارنة العلمية ) الذي أريد أن اسجل به امرا ذا بال في البحث اللغوي . ذلك انه يوجد في هذا المجال ميدانان : ( انظر ايضا الحاشية رقم ١٢٨ )

=

العقيمة والتحليلات الارسطوطاليسية السطحية التي يرجع الفضل في جمعها والاحتفاظ بها للعالم اللغوي Révész [١٣٦] .

---

=

١ ـ الميدان الذي يمكن ان نسميه ، كما اراد Friedrich Diez ( انظر كتابه قواعد اللغة الرومانية ) ب « **القواعد المقارنة** » وهي التي يطلق عليها الانجليزيون « فقه اللغة المقارن » والذي وصل الى أوجه بفضل جهود العالم اللغوي الامريكي Whitney سنة ١٨٧٥ ( انظر ٠١ ٠٢ ١٣ ) وبفضل حنكة مدرسة النحويين الشباب الالمان ( انظر ٠١ ٠٢ ١٠ ) سنة بعد ذلك أي في ١٨٧٦ وهذه الصيغة « فقه اللغة المقارن » هي التي سيأخذ بها De Saussure في محاضراته .

٢ ـ الميدان الذي يعرف ب « علم اللغة التاريخي » الذي جاء به Jacob grimm في كتابه « **القواعد الالمانية** » حيث قدم حديثا صريحا عن معالجة تاريخية لا مقارنة للغات الجرمانية . لذا عد المؤسس الحقيقي ل « علم اللغة التاريخي » .

الا أننا ان أمعنا النظر في القسمين ، لاحظنا أنهما يكادان يكونان مترادفين وباصح تعبير متكاملين الامر الذي حدا ب Meillet الى القول : « بانه لا يوجد علم يسمى بالقواعد المقارنة » .

وان كنا نعلم هذه القواعد في فرنسا منذ خمسين عاما ، اذ لا توجد الا طريقة مقارنة ، وان ما أدعوه خطأ بالقواعد المقارنة ليس الا شكلا من أشكال التاريخ . فاذا أردنا بحث القواعد المقارنة لاحدى اللغات ، درسنا تاريخ هذه اللغة على هدى الطريقة المقارنة والحق ان القواعد النحوية التاريخية تستفيد من استخدام هذه الطريقة حتى انها لا تستطيع الاستغناء عنها » ( تاريخ علم اللغة لجورج مونن ترجمة بدرالدين القاسم ، صفحة ١٨٥ من اولها ) .

وهذا بالذات هو الذي يدخل في صلب الموضوع : « الوجهة التاريخية على أساس المقارنة العلمية » .

١٣٦ ـ يعد Révész العالم اللغوي الوحيد الذي بحث ، في كتاب مستقل ، مسالة نشأة اللغة . ظهر كتابه لاول مرة في Borna

=

ويسمى كتاب Franz Bopp هذا الذي قلنا عنه انه ولد علوم اللغة في جيل هومبولت ، أي في جيل تلك المدرسة الرومانسية التي قامت تحارب الادباء العقلانيين وتميل ميلا شديدا نحو البحث في حضارات غريبة عن بلادها بـ « في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقـارنته

---

=

بالمانية سنة ١٩٤٦ ٠ ثم ترجم الى اللغة الفرنسية تحت عنوان : origine et préhistoire du langage وطبعته دار Payot في ٢٢٤ صفحة سنة ١٩٥٠ ٠ تحدث عن هذا الكتاب العالم اللغوي Vendryes في مجلة جمعية اللسانيات في جزئهـا ٤٤ من صفحة ٥ الى ٧ الذي صدر سنة ١٩٤٨ ٠ كما تحدث عنه اللغوي Taylor سنة ١٩٥٨ في Word يساعدنا كتاب Révész على معرفة الفرضيات القديمة التي تعاقبت منذ أن بدأ الانسـان يبحث في الموضـوع الى زمن الكاتب ٠ وهي أربع نظـريات ٠

(١) **النظريات البيولوجية** التي تفترض أن اللغة انحـدرت شيئا فشيئا من تطور الحركات والاصوات التعبيرية العفوية ٠ وعليـه فان اللغة على هذا نشأت من تقليد الصيحات أو الضجة الطبيعية٠ وهذا ما يسمى Pooh-pooh Theory ( أنظر ٢٠٢٠٢ )

(٢) ـ **النظريات الانتروبولوجية** والذين يرون هذا الرأي ينسبون اللغة الى تلك العلاقات المتبادلة الرمزية الكائنة بين وقع المصدر الصوتي وبين معناه (ding-dong Theory) أو الى الاصـوات المرافقة لجهد عضلي yo-he-ho Theory أو الى تطور الغناء والحركات التعبيرية ٠ ولقد حاولت بعض النظريات أن تعتمـد على كيفية اكتشاف الطفل أو على الاشكال اللغوية التي رصدها العلماء عند الاقوام البدائية أو على أعراض أمراض التخاطـب ٠

(٣) ـ **النظريات الفلسفية الصرفة** ، لقد ذهب بعضهم الـى أن اللغة فطرية عند الانسان ، وقال غيرهم انها مكتسبة وانها حصيلة اختراع ارادي ، لكنه طـارىء ، أو هي اكتشـاف عـارض ٠

(٤) ـ **النظريات اللاهوتية** ، يعتمد أصحابها على أن اللغة هبـة من عند الله ٠ صرح بذلك عندنا العالم اللغوي ابن فارس ( أنظر كتابه الصاحبي ، صفحة ٥ ) وتبعه قوم وخالفه آخرون ٠

بالانظمة الصرفية المعروفة في اللغــات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية • »(١٢٧)

ففي هذا الكتاب بالذات نجد التعريف الثــاني للغة ، وان كان لا يختلف كثير الاختــلاف عن التعريف سابقه ، ما داما ، معــا ، يسيران في تيار واحد هو : المقارنة من أجل بيان القرابة بين اللغــات الهندية الاوروبية » يقول Franz Bopp معرفا اللغة : أنها الجســم العضوي الحــي ، الا أنه يكتفي في بعض الاحيــان بتشبيهها بـ « العضوية الحية » قاصدا بهذا ما نطلق عليه الآ « البنية » •

٠١ ٠٢ ٠٦ وفقة وثيقة الصلة بهذه التعاريف

ان تعاريف هومبولت ومن شاكله مثل Ramus Rask & Schlegel الدنماركــي(١٢٨) ، صــاحب كتــاب : « التحقيق في أصــل اللغــة

---

١٢٧ ـ يسمى كتاب : Franz Popp

übe. das Kon ugationsystem der Sanvkritorpache in Vergleichung raitenera der griechischen, lateinischer, persischer und germanicher Sprache.

صدر بـ lena سنة ١٨١٦

١٢٨ ـ كان Ramus Ras. ، الذي ازداد سنة ١٧٨٧ شــخصية عظيمة في ميدان علم اللغة ، لا سيما « القواعد المقارنة » ( انظر الحاشية رقم ١٢٥ ) كما يشهد بذلك Pedersen ( انظر كتابه Discovery ) « اكتشــاف اللغة من صفحة ٢٤٨ الى صفحــة ٢٥٤ » لكن الناس غمطوه حقه ، فلم يتحدثوا عنه الا لماما وبشكل سريع جدا مثل ما فعل العالم الفرنسي Bréal و Raumer الذي أوضح سنة ١٨٧٠ ان الالماني Jueob grimm مدين في كثير من نظرياته الى جهود Rask • ويجب أن ننتظــر الى سنة ١٩٠٢ لنحصل من مواطن له ، هو العالم اللغوي الدانماركي =

الاسكندنافية القديمة أو الاسلندية » ، كانت لها رغبة واحدة هي العثور على مبدأ ومنشأ لغتهم الاصلية ، وخصوصا الجرمانية . ولذا شاعت عند المدرسة كلمة Ursprache وجل أعضاء هذه المدرسة متأثرون ، من جهة أخرى – لربما بدرجة أقل من صاحب التعويف الآتي ذكره – بالعالم الطبيعي السويدي Linné ، وبالعالم الفرنسي Cuvier اللذين استطاعا في ميدان تخصصهما ، الحصول على معلومات موضوعية ، واضعين ، في نفس الوقت ، المناهج الصالحة لذلك ، موفقين أشد التوفيق في تصنيف الحيوانات بالمقارنة بين مختلف أجناسها .

ومن تم استطاع هؤلاء العلماء أن يبينوا كيف تطورت الاحياء حتى بلغت الى الحالة التي هي عليها الآن .

استغل اللغويون هذا البيان الذي أقنعهم أن اللغة هي أيضا جهاز عضوي مثل الاحياء لأنها مثلها تولد وتنشأ وتكبر وتترعرع

---

Thomsen على وصف دقيق لبعض معالم شخصية Rask العلمية . الا أن الذي عرف العالم به حق تعريف هو ( مواطن آخر له ) العالم اللغوي الدانماركي الكبير Hjelmslev الذي خصه بدراسة عميقة ظهرت سنة ١٩٥١ تحت عنوان Commentaire sur la vie et l'auvre de Rask

نجد فيها تعريفا للغة نقله Hjemslev عن Rask قال هذا الاخير معرفا اللغة : « ان اللغة ظاهرة من ظواهر الطبيعة » وان الدراسة اللغوية هي أقرب الى التاريخ الطبيعي . فاللغة توفر لنا موضوعين للتأمل الفلسفي : ١– العلاقات بين الاشياء أي النظام . ٢– بنية هذه الاشياء ، أي وظائفها . ولا يتم ذلك آليا انما هو تطبيق للفلسفة على الطبيعة ، وأعظم انتصار لهذا التطبيق هو أن يعيننا على معرفة النظام في الطبيعة واثبات حقيقته . » توفي راسك سنة ١٨٣٢ .

وتكتهل ثم تشيخ وتموت تماما كما يقع للاحياء • ولهذا أدرجوا في تيار ثان ( أنظر التيار الاول في ٠١ ٠٢ ٠٥ ) هو : « التشبيه بين اللغات والكائنات الحية » •

## ٠١ ٠٢ ٠٧ تعقيب على بعض ما مر

نعلم أن علماء اللغة من العرب الاقدمين توصلوا الى هذه النظرية التى اعتقد بعضنا أن الفضل في ايجادها لا يعود الا الى Linné (١٢٩) و Cuvier (١٣٠) ( أنظر ٠١ ٠٢ ٠٦ ) وفعلا كتب فيها علمؤنا الاقدمون ما شاء لهم أن يكتبوا ، لكن بدون أية مبالغة ، بحيث لم يشبهوا اللغة بتطور أعضاء الحيوانات والنباتات ، اذ اللغة ، في نظرهم ، متطورة فعلا ، لكن حسب ناموس آخر ، ليس هذا موضوع تفصيله •

وهذه النظرية التي عمل بها علماء اللغة العرب قديما فرّع محتواها الامام السيوطي(١٣١) الى ضعيف ومنكر ومتروك من اللغات•

---

١٢٩ ـ هو Carlvon Linne عالم سويدي متخصص في علوم الطبيعة• اشتهر بتصنيفه للنباتات ولد سنة ١٧٩٧

١٣٠ ـ هو Baron Georges Cuvier متخصص في علوم الطبيعة، فرنسي الجنسية ازداد سنة ١٧٦٩ وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها راسك أي ١٨٣٢ • مؤسس علم التشريح المقارن وعلم المستحاثات

١٣١ ـ ترك لنا السيوطي ترجمة عن نفسه ، موجودة الان في كتابه « **حسن المحاضرة** » ، الجزء الاول ، صفحة ٣٣٥ واسمه الكامل هو عبدالرحمن بن الكمال ابي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظرالدين الخضيري الاسيوطي • ازداد سنة ٨٤٩ هجرية موافق ١٤٤٥ ميلادية ونشأ في القاهرة يتيما • يظن بعض الباحثين انه ترك ٦٠٠ مصنفا • وانني لاحاول أن أختم رسالة تجمع جميع مصنفاته اذكر منها التي طبعت ، ويفوق عددها الآن ١٠٠ ، وأبين أين توجد الكتب التي ما تزال مخطوطة وستكون

فقال : « الضعيف ما انحط عن درجة الفصيح والمنكر أضعفُ منه ، وأقل استعمالا ، بحيث أنكره بعض أئمة اللغــة • والمتروكُ ما كان قديماً من اللغات ، ثم تُرِكَ واستُعمل غــيره ، وأمثلة ذلك كثيرة في كتب اللغة •

جاء في جمهرة[132] اللغــة لابن دريد نقلا عن أبي عمــرو بن

---

هذه الرسالة ذيلا لكتاب السيوطي « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » الذي احققه : توفي السيوطي سنة ٩١١ هجريــة موافق ١٥٠٥ ميلادية •

١٣٢ ـ تعد « جمهرة اللغة » لابي بكر محمد بن الحسن بن دريــد من مشاهير كتب اللغة التي نسجت على منوال العين كما قال السيوطي في مزهره ( الجزء الاول ، صفحة ٩٢ السطر الثالث ) وان طعــن فيه ابن جني وابراهيم بن محمد بن عرفة ( نفطوية ) لاسباب في نفسيهما ليس هذا مجال بسطها ••

طبعت الجمهرة لاول مرة في حيدر أباد بالهند من سنة ١٣٤٤ الى سنة ١٣٥٢ في ثلاث مجلــــدات الحق بها مجلد رابــع خاص بالفهارس بتحقيق وعناية الشيخ محمد السورتي والمستشرق الالماني Freitz Krenkow الذي ولد في قرية Schoenberg بشمال المانيا سنة ١٢٨٩ هجرية موافق ١٨٧٢ ميلادية والذي اتفق مع « دائرة المعارف » في حيدر آباد الدكن بالهند على أن يتولى تحقيق بعض المخطوطات العربية ويعلق عليها بما يبدو له • توفي هذا المستشرق سنة ١٣٧٢ هجرية موافق ١٩٥٢ ميلادية ، ثم أعيد طبع الجمهرة بالاوفسيت في دار صادر ببيروت لكن بدون تاريخ •

١٣٣ ـ سماه الامام شمس الدين أبو عبدالله الذهبي في كتابه « **معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعمار** » صفحة ٨٣ من الجزء الاول: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العيان • يسميه الاصمعي زبان • ازداد سنة ٧٠ هجرية موافق ٦٩٠ ميلادية • يعد من أئمة اللغة والادب وهو أحد القراء السبعة • واليه انتهت الامامة في القراءة بالبصرة • توفي بالكوفة سنة ١٥٤ هجرية موافق ٧٧١ ميلادية •

العلاء[١٣٣] : مضى كلام قديم قد تُرِك »[١٣٤] .

وجاء في شرح المعلقات لأبي جعفر النحاس : « قال الكسائي[١٣٥] : « محبوب من حببت ، وكأنها لغة قد ماتت »[١٣٦]

ولقد تنبّه لهذه الظاهرة ابن فارس[١٣٧] ، فقال في باب الاسماء الاسلامية من كتابه « الصحابي »[١٣٨] :

---

١٣٤ – « جمهرة اللغة » الجزء الاول ، صفحة ١٠٦ العمود الاول ، السطر الرابع عشر .

١٣٥ – جعله الامام الذهبي السابع في الطبقة الرابعة واسمه علي بن حمزة بن عبدالله الاسدي بالولاء ، الكوفي أبو الحسن الكسائي . كان اماما في النحو واللغة والقراءة ، ولد في احدى قرى الكوفة . صنف « معنى القرآن » و « المصادر » و « الحروف » و « القراءات » و « النوادر » ومؤلف في النحو . و « ما تلحن فيه العامة » الذي لم يذكره الاستاذ خيرالدين الزركلي في الاعلام (الجزء الخامس صفحة ٩٣ آخر العمود الثاني) رغم أن هذا الكتاب طبع مرتين ، مرة بعناية المستشرق Carl Brokelmann نشره في مجلة الآشوريات في مجلدها الثالث عشر من صفحة ٢٩ الى ٤٦ وثانية بعناية الاستاذ عبدالعزيز الميمني سنة ١٣٤٤ في مجموعة تحتوي على مقالة « كلا » ، وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس ، ورسالة الشيخ ابن العربي الى الامام الفخر الرازي . توفي الكسائي بالري سنة ١٨٩ هجرية موافق ٨٠٥ ميلادية .

١٣٦ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، الجزء الاول ، صفحة ٢١٩

١٣٧ – أنظر ترجمته في بغية الوعاة ٤١٤/١ وانباه الرواة ٩٢/١

١٣٨ – يسمى كتاب ابن فارس هذا « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها » نسبة الى الصاحب بن عباد . تكفلت بنشره لاول مرة المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هجرية موافق ١٩١٠ ميلادية . ثم طبع مرة أخرى سنة ١٣٨٢ هجرية موافق ١٩٦٣ ميلادية في بيروت ، قامت بطبعه المكتبة اللغوية بعد أن حققه الدكتور مصطفى الشويمي .

« كانت العرب في الجاهلية على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الاول . »

ثم قال في باب آخر من كتابه الصاحبي :

« ومن الاسماء التي زالت بزوال معانيها المرباع[139] والنشيطة[140] والفضول[141] ولم نذكر الصفى[142] لأن الرسول (ص)

---

١٣٩ ـ للفظة المرباع معنيان ، أولهما أنها تدل على « المكان الذي ينبت بته » . ( انظر القاموس المحيط لمجدالدين الفيروزابادي ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٥ السطر الثامن ) ثانيهما أنها كانت تدل على ما كان يأخذه الرئيس في الجاهلية ، ويقدر بربع الغنيمة ( انظر الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري ، الجزء الثالث ، صفحة ١٢١٥ العمود الثاني ، السطر الرابع . )

١٤٠ ـ جاء في الصحاح الجزء الثالث العمود الثاني من صفحة ١١٦٣ السطر الحادي عشر : « النشيطة ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ الى الموضع الذي قصدوه . لكن ابن سيدة ( انظر الحاشية رقم ١٣ ) قال :« النشيطة في الغنيمة ما أصاب الرئيس قبل أن يصير الى بيضة القوم . ( نقل هذا السيوطي في المزهر الجزء الاول صفحة ٢٩٧ ، الحاشية رقم ١ )

١٤١ ـ الفضول : بقايا تبقى من الغنيمة ، فلا تستقيم قسمته على الجيش لقلته وكثرة الجيش . ( من حاشية المزهر ) .

١٤٢ ـ الصفى أن يصطفي الرئيس لنفسه شيئا كالناقة والفرس والجارية . والصفى الاسلام على تلك الحال . وقد اصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف منبه بن الحجاج يوم بدر وهو ذو الفقار ، واصطفى صفية بنت حي . ( حاشية المزهر ١ . صفحة ٢٩٧ ) .

صلى الله عليه وسلم قد اصطفى في بعض غـزواته ، وخص بذلك ، وزال اسم الصفى لما توفي صلى الله عليه وسلم(١٤٣)

٠١ ٠٢ ٨ التعريف الثالث

أما التعريف الثالث فانا نجده عند أكبر متحمس للتيـار الثاني ( أنظر ٠١ ٠٢ ٠٦ ) وهـو Wilhem von Schleicher (١٤٣)آ الذي كان يطبق في بحوثه اللغوية ، الداروينية تطبيقا حرفيا •

---

جمع هذه الكلمات الشاعر عبدالله بن عنمة الضبي • فقال .
لك المرباع منها والصفايا ✻ و حكمك والنشيطة والفضول
وابن عنمة الضبي هذا هو عبدالله بن عنمة بن حرثان بن ثعلبـة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سـعد بن ضبة بن اد بن طانجة بن الياس بن مضر كما جاء في خزانة البغدادي صفحـة ٥٨٠ وان كانا محققا المفضليات يشكان في هذا الاسم ( أنظـر المفضليات صفحة ٣٧٨ ) • أما صاحب الاصابة فقد قال عنه انه كان من المخضرمين • كان ابن عنمة متزوجا في بني شـيبان نازلا فيهم وهو ابن اختهم • ولقد شهد القادسية • اختار المفضـل الضبي من شعره قصيدتين الاولى هائية وهي من ٢٣ بيتا توجد في المفضليات في الصفحات ٣٧٩ و٣٨٠ ، و٣٨١ و٣٨٢ • والثانية لامية من ١٧ بيتا •

١٤٢ ـ ذكر ابن فارس كلمات متروكة أخرى نقلها السيوطي في مزهره ابتداء من صفحة ٣٩٧ الجزء الاول •

١٤٣ آ ـ ازداد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٨٦٧ • فهي حياة قصيرة للغاية ولكنها كانت حافلة ومفيدة ورغم انه حصل على نتائج في غايـة من الاهمية كما أقول في (٠١ ٠٢ ٠١ ٠٧) فان حكم العالـم اللغـوي الفرنسي Breal صائـب عنـدما قال في المجلـد الاول من Mémoire de la société linguistique صفحة ٨٣ : « صرح مهيب بني بقليل من السرعة » ورغم حياة قصيرة فقد خلف لنا أبحـاثا لا يستهان بها • هي : Handbuch der litauische sprache

كان هذا اللغوي في بداية حياته العلمية مهتما بعلم النبـاتات · ولكن سرعان ما غير الاتجاه ، فأصبح من أساطين علم اللغة .

وانني لأشير الى تعريفه من بين التعاريف الكثيرة للاسباب الآتيه:

أولا : سلك دائما في بحوثه اللغوية طريقة دقيقة وصارمة .

ثانيا : استطاع أن يبرز علما صوتيا حقيقيا يتناول ، لا الحروف كما فعل علماء اللغة قبله وفي زمانه ، وانما صار يبحث تقطيع العبارة والكلمة مع تأكيد إبراز تغيير نطق الاصوات .

حين نصرح بهذا في حق هذا العالم ، شاهدين له بفضل السبق في ابراز هذا العلم بهذا الشكل الذي وصفنا ، فاننا نقصد بذلك العالم الغربي وما والاه ، أما ان وسعنا نطاق المقارنة بحيث جعلناها تشمل أيضا عالمنا العربي فاننا سـندرك حينئذٍ انه كان مسبوقا الى هـذه النظرية ، وهو ما سنتعرض له في فقرة قادمة ( أنظر ٠١ ٠٢ ٩ ) .

ثالثا : أمكنه لاول مرة في التاريخ أن يصل الى تحليـل لغـة شعبية ، غير أدبية ، هي اللغة اللتوانية ( أنظر الحاشية رقم ١٤٣ ) حللها تحليلا وصفيا تاريخيا دارسا جميع أشكالها المنطوقة(١٤٤) .

---

=

« الموجز في اللغـة اللتوانية » ظهر سـنتي ١٨٥٦ – ١٨٥٧ ·

و Laut und fo:menlehre der polabische sprache

« الدراسية الصوتية والصرفية للغة أقوام » Po abes الذي لم ير النور الا بعد وفاة المؤلف أي في سنة ١٨٧١ · و

Linguistiche Untersuchengen, die sprache Europes in Systematischer Ubersich

الذي طبع سنة ١٨٥٠ في برلين · وأبحاث أخرى كثيرة ·

١٤٤ – درسها في كتاب سـماه Handbuch der Litauische Sprache

« الموجز في اللغة اللتوانية » الذي ظهر ، كما قلت ( الحاشية رقم ١٤٣ سنتي ١٨٥٦–١٨٥٧ · وهو كتاب أثنى عليه الثناء العاطـر العالم اللغوي الكبير meillet

يمكننا ، من هنا ، أن نقول أن Schleicher كان أول لغوي في القرن التاسع عشر بحث اللغة من جانب الأسلوب المقارن وكأنه علم لغوي عام منسجم ومتكامل . ولربما فعل ذلك بصورة أكثر وضوحا مما فعله Humboldt السابق الذكر .

وبما أن Schleicher ينطلق من الانتصارات التي حققها عالم الطبيعة Linné (١٤٥) الذي برع في تطبيق الكائنات الحية مؤثرا بذلك كثير الأثر في اللغويين ، كما ينطلق من نظريات صنوه Cuvier (١٤٦) ومن تطبيق الداروينية على اللغات البشرية ، فانه صار يعرف اللغة كما عرفها المتأثرون بهذه الافكار ، لكن بصيغة قطعية حاسمة .

وهكذا فان اللغة عنده « جهاز عضوي قابل للتطور » . أي أنها « ليست ظاهرة اجتماعية بل هي حادث من حوادث الطبيعة أو جهاز عضوي طبيعي ... » ومن هنا شعر شعورا واضحا بضرورة فصل الدراسة الانسانية القديمة المسماة بـ « فقه اللغة » عن الدراسة اللغوية الجديدة التي كان يريد أن يطلق عليها « علوم الحنجرة » أو الـ Glottek (١٤٧) .

## ٠١ ٠٢ ٩ ملحوظة على بعض ما جاء في التعريف الثالث

سبق أن قلنا ( أنظر ٠١ ٠٢ ٩ ) ان Schleicher استطاع أن يبرز علما صوتيا حقيقيا يتناول ، لا الحروف ، كما فعل علماء اللغة قبله

---

١٤٥ - أنظر الحاشية رقم ١٢٩ .
١٤٦ - أنظر الحاشية رقم ١٣٠ .
١٤٧ - أنظر Historia de la linguistica desde los origines al siglo XX ترجمته من الفرنسية Felisc Marcos . صفحة ٢٣ - والكتاب من تأليف الفرنسي Georges Mounin (انظر الحاشية رقم ١٢٠)

وفي زمانه ، وانما صار يبحث تقطيع العبارة والكلمة مع التأكيد على ابراز تغيير نطق الاصوات ثم عقبنا على ذلك بقولنا أن العرب سبقوا الى هذا الموضوع ودرسوه دراسة لا بأس بها • بل أنهم بالغوا في التدقيق فيه الى درجة أنهم صاروا يغيرون نطق الاصوات بأمور لا علاقة لها ، في بعض الاحيان ، بما يمكن أن يقوم حجة على تغيير الصوت •

فاذا كنا مثلا نقبل — مع كل التحفظات —(١٤٨) أن تغليظ(١٤٩)

---

١٤٨ — سيجوز لنا ، ولا شك ، أن نتحفظ حتى في هذه المسائل التي قبلناها منهم — كدت أن أقول : ( قبلنا منهم على مضض — اذ انه حتى في هذا اللام المفخمه التي اخترناها مثالا شاهدا على تغيير نطق الاصوات عند العرب يسهل الطعن فيها كما سنرى • فاي فضل يبقى لهم في الموضوع ؟ أعتقد أن فضلهم كان في انهم وضعوا قوانين اتبعوها في لغتهم ، قوانين ان نحن أمعنا النظر فيها ، وجدنا أنها ترتكز ، ان لم تكن على كثير من الصواب ، فعلى قليل منه • ألا أن هذا الاساس الذي انطلقوا منه ، اما أنه ضاع لانه آت من نطق شفوي قديم مندثر ، لا سبيل الى وصفه بالدقة العلمية المرجوة ، واما أنه مأخوذ من لغة او لهجة نعرف خصائصها ونستطيع تحديد بعض أصواتها بدقة • ان النطق الجديد على اللام في هذه الحالة الدقيقة التي تهمنا نطق عاد له ما يبرره في اللغة الاصلية أو في اللهجة المنقرضة اذا اردت • وأحسن مثال يمكن ان نستأنس به الآن ونطبق عليه ما قلنا هو لفظ الصلاة • فاذا كانت لامها الآن مغلظة عندنا ( وسيقال لنا لانها توفرت على الشروط الموضوعة من طرف اللغويين الاقدمين ) فان حركتها في لغتنا كانت ضمة طويلة في اللغة الام ، وهو تذكير وقع تعزيزه في المصحف الشريف بكتابة واو زائدة ، غير مقروءة بعد اللام المفتوحة ، فكيف تزاد واو بعد فتح ؟

١٤٩ — نعرف أن المصطلح « التغليظ » يعني ما تعنيه لفظة «التفخيم»• والتفخيم عبارة عن ربو الحرف وتسمينه وعكسهما ، هو عندنا =

اللام المفتوحة الموالية[١٥٠] لحرف من الحروف الثلاثة الطاء والظاء والصاد[١٥١] المفتوحة والساكنة القبلية ، فاننا لا نستطيع أن نقبل ، بسهولة ، في الاقل في عصرنا الحاضر ، أن تكون امالة[١٥٢] هاء

---

«الترقيق» . لكن علماء اللغة العرب ، سيما الذين اهتموا كثيرا بالقراءات القرانية ، وهي ادق شعبة في علم اللغة ، درجوا على تسمية « لا ترقيق » في ازاء «التفخيم» . والاصل في اللام ، كما هو معلوم ، الترقيق ، لا التغليظ ، ولذا لا يرققونها الا بشروط ( ١٠٢٠١٠٨ ) .

١٥٠ ـ أكدوا كثيرا هذا الشرط رغم انه مفهوم من قولهم « من بعد الطاء والظاء والصاد » ( انظر ذلك في « النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع » شرح الشيخ ابراهيم المارغني، صفحة ١٥٢ ، طبعة تونس سنة ١٣٥٤ـ١٩٣٥ .

١٥١ ـ برروا التغليظ في اللام اي « تغيير الصوت المصاحب لها لورودها بعد حروف تقتضي نهاية التفخيم لكونها مستعصية ومطبقة ، فغلظت اللام بعدها ليعمل اللسان عملا واحدا ، فتحصل المناسبة » ( شرح الدرر اللوامع ) . الا أنهم ، حين قرروا ذلك ، لاحظوا أن اللام لا تفخم مع حرف جمع هذه الشروط : الاطباق والاستعلاء ، وهو الصاد . فصاروا يبررون هذا الشذوذ بكون هذا الحرف لا يقترب من اللام كاقتراب الاحرف الثلاثة .

١٥٢ ـ ان لكل لفظ معنيين على الاقل ، معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح . أما في اللغة ، فأحسن تعريف استطيع ان اقدمه هو ما أورده الجعبري ( ت ٧٣٢ هـ ) الذي قال في كتابه « شرح حرز الاماني » ( مخطوط بدار الكتب بمصر رقم ٦١٢ قراءات ) : « الامالة الانحناء » .

اما في الاصطلاح ، فان معنى الامالة ، حسب ما عرفها به المبرد ( ت ٢٨٥ هـ ) ، لاول مرة ، لكن بتعريف ناقص في كتابه المقتضب في اللوحة ٣٤ من الجزء الثالث من مخطوط دار الكتب بمصر تحت رقم ١٥٢٥ : « الامالة أن تنحو بالالف نحو الياء . » واسميه ناقصا لانه لم يتحدث عن الفتحة التي تنحو نحو الكسرة .

وهو أمر تنبه له أبو القاسم عبدالرحمان بن اسحق الزجاجي ( المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ) الذي قال : الامالة : هو ان تميل الالف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة نحو قولك عالم وعابد ومساجد ومفاتيح وما أشبه ذلك ( انظر الجمل صفحة ٣٦٣ من الطبعة الثانية الفرنسية بتحقيق ابن أبي شنيب ) .

ومن اللغويين العرب من لم يستعمل فعل « مال » لتوضيح هذا الصوت وانما استعمل ألفاظا اخرى مثل « قرب » . فعل ذلك مكي ابن ابي طالب حموش القيسي ( ت ٣٣٧ هـ ) في كتابه التبصرة ( مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٩٢٦ ب . ومنه في نفس الدار صورة شمسية تحت رقم ٢٠١٠٣ ) حين قال : « الامالة هو تقريب الالف نحو الياء » . واضاف بعد كلام طويل اخر : « واذا قربت الالف الى الياء في الامالة لم يكن كذلك حتى تقرب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة » ( التبصرة اللوحة ٩٠ ) . وانظر قضية الامالة في «الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح» ( نسختان خطيتان بالمكتبة الازهرية ) للداني ( ت ٤٤٤ هـ ) وكذا رسالة ابن الفاضح المعروفة بـ « قرة العين في الفتح والامالة وبين اللفظتين » . مخطوط لا يكاد يخلو منه بيت بالمغرب. وكذا مصنف « كشف قناع الوهم والخيال عن فواصل الممال » وتنسب لابن غازي . وكذلك الشرح الذي انجزه عبدالحفيظ بن علي غنيم على أرجوزته هو ، شرح سماه « زوال الجهالة بشرح منظومة الامالة » وهي في أحكام الامالة على مذهب أبي عمرو ابن العلاء البصري المازني . وأيضا كتاب المستشرق الالماني Max Grunert المسمى D.c/Ima.a الذي الفه سنة ١٨٧٥ ميلادية والمتكون من خمسة أبواب تصدرتها مقدمة وأيضا كتاب الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي « في الدراسات القرآنية واللغوية ، الامالة في القراءات واللهجات العربية » المطبوع بمصر، طبعة ثانية سنة ١٩٧١م موافق ١٣٩١ هـ . يطلق المتقدمون من القراء والنحاة على الامالة الالفاظ الآتية : الكسر ، البطح ، الاضجاع ، الاشباع ، والالف المعوج واللي . وذلك الى عصر ابن الجزري ( توفي سنة ٨٣٣ هـ ) الذي خصص الامالة الشديدة بالالفاظ الآتية : المحض ، والاضجاع والبطح والكسر وأطلق على الامالة الحقيقية بين اللفظتين، والتلطيف ، والتقليل وبين بين.

=

التأنيث[١٥٣] وما قبلها في الوقف « من طباع العربية[١٥٤] » أو تكون على الخصوص « هي لغة الناس لا يحسنون غيرها ولا ينطقون بسواها ، يرون ذلك أخف على لسانهم وأسهل في طباعهم»[١٥٥] .

هذان المثالان اللذان أخذا من اهتمام علماء اللغة العرب الاقدمين مأخذا كبيرا شاهدان قويان ــ رغم التحفظ الذي أبديناه ــ على أن العرب سبقوا Schleicher وغيره الى ما يظن بعض الناس أنه من ابتكاره .

### ٠١ ٠٢ ١٠ تعاريف التيار الثالث

لن نذكر الآن تعريفا من التيار الثالث المعروف بـ « التتبع التاريخي الدقيق والاهتمام بتقنين التطور وتعليله » ذلك الذي يجعل

---

=

وأما التعريف العلمي الدقيق الذي اطمأن اليه فهو الذي ذكره الدكتور شبلي حين قال : « الامالة ، هي أن تقرب الفتحة قصيرة كانت أو طويلة الى الكسرة قصيرة أو طويلة كانت » ( في الدراسات القرآنية واللغوية صفحة ٥١ ) .

١٥٣ ــ سيلاحظ انني أميل الحرف لا الحركة ، وقد يظهر ذا غريبا لكثير من الناس . والحقيقة أن هذا مشكل عويص لا بد له من بحث طويل ليتضح ، ولكنني أحب أن أقول ، مسرعا ، انني أفعل ذلك أسوة بعلماء اللغة الاقدمين وعلى رأسهم امام النحاة سيبويه الذي يرى دائما أن الحرف هو الذي يمال ( أنظر سيبويه الجزء الاول صفحة ٢٦٦ السطر الاول و٢٦٧ السطر ٢٢ والصفحة ٢٧٠ السطر ٢٠ ) .

١٥٤ ــ هذا الحكم نقله عنه ابن الجزري في « النشر في القراءات العشر » الجزء الثاني ، صفحة ٨٢ .

١٥٥ ــ هذا الحكم المطلق هو حكم الحافظ ابي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري ( ت ٨٣٣ ) ، النشر في القراءات العشر ، الجزء الثاني ، صفحة ٨٢ ابتداء من السطر ٩ .

أساس البحث اللغوي التحليل التاريخي ومنهج الاستمرار لتطور عناصر اللغة ، لأنه مذهب عملي علمي يستنبط القوانين الكلية والجزئية من المشاهدة .

ولم نذكر تعريفا من هذا التيار لاسباب منها :

أولا : أن أصحاب هذا التيار من « شباب النحاة » Junggrammatik وليسوا بحال من الاحوال من « النحاة المحدثين » كما ترجم ذلك بعض الباحثين منا ، ظانين أنهم من "Neo-grammairiens"

كان أكبرهم سناً لا يتجاوز ٣٠ سنة من عمره ، ولذا لم يكن لهم الوقت الكافي ليبلوروا أفكارهم في تعريفات دقيقة للغة خاصة بهم .

ثانيا : لقد تأثروا كلهم تقريبا بالكتاب الذي حول علم اللغة من علم غامض الى علم دقيق يسعى الى تفسير التغيرات المتوالية بقوانين لا غبار عليها . والكتاب الذي أقصد هو كتاب العالم اللغوي الالماني Schleicher ( ١٠ ٢٠ ٩ ) في النحو المقارن للغات الهندية ـ الاوربية[١٥٦] .

لقد كان لهذا الكتاب ، زيادة على التأثير الحسن الذي أحدثه في هؤلاء النحاة الشباب دور آخر هو ابراز مدرستهم الى الوجود . ثم عظمت هذه المدرسة الى درجة أن صار جل اللغويين الالمان في الثلث الاخير من القرن العشرين ينتسبون اليها[١٥٧] .

---

١٥٦ ـ يسمى هذا الكتاب
Comprendium der vergleichender grammatik der indorgermanischen Sprachen, kurzer Abriss ciner Laut mal formenlenhre der indogermanischen Ursprache.
طبع سنة ١٨٦١ ب Weimar

١٥٧ ـ نذكر من هؤلاء على الخصوص العالم A. Leskein واللغوي
=

ثالثا : كان شغل « الشباب النحاة » الشاغل هو نقض الاوهام التى سادت اللغويين في الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر • وأهم هذه الاوهام اعتقادهم أن اللغات القديمة أشرف من اللغات الحديثة لتوفرها على أكبر عدد من الاحوال التصريفية والعلامات الاعرابية •

والذي دفع بشيوخهم الى اصدار هذه الاحكام الفاسدة التي تضحكنا الآن ، هو اعتزازهم بلغتهم وتعلقهم المفرط بها وجهلهم بلغات مهمة في العالم •

لقد حكموا مثلا على اللغة العربية بأن ليس لكلماتها أصل ونسوا أنهم انما أخذوا المصطلح « الاصل » أو « الجذر » الذي يسمونه في اللغة الالمانية بـ "Wurzel" وفي الانجليزية بـ "Root" وفي الفرنسية بـ "Racine" وفي الاسبانية بـ "Raiz" من الكلمة العربية « الجذر » وقت اطلاعهم على ما ترجم في القرن السادس عشر من كتب النحو العربي قبل أن يطلعوا على ما يشبه ذلك في نظرية الهنود •

رابعا : تمسكهم باطراد القوانين وقبولهم لكثير من العناصر الشاذة ، وهي حالة خلفتها لهم الفيلولوجية القديمة وخصوصا الفيلولوجية الانسية L'humanisme

ولم يتمسكوا بهذا الاطراد الا لاعتقادهم أنه لا يمكن أن توجد

---

H. Osthoff وكذا K. Brugmann وهؤلاء عملوا في مجال علم اللغات الهندية الاوربية ثم جاء بعدهم من عمل في مجال علم اللغات السامية مثل Nöldeke و C. Brockelmann

( انظر علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية للدكتور محمود فهمي حجازي ص١٢٩ )

صيغ خارجة عن القوانين التطورية الا لعلّة معينة • لكن هذه العلة ــ يقول هؤلاء النحاة الشباب ــ قد تخفى علينا ، إما لعدم اطلاعنا على جميع أطواره وأحواله وظروفه النفسانية والاجتماعية والفيزيولوجية ، واما لان هذه الشواذ قد تفسر بالرجوع الى مبادىء عقلية بحتة أو فلسفية ميتافيزيقية أو عوامل اعتباطية خيالية يصطنعها الانسان لارضاء نزعاته الخاصة به أو بقومه •

الا أننا نعرف أن القوانين التي يخضع لها تطور الاصوات مثلا هي قوانين مطردة لا تحتمل الشذوذ غير المعلل[١٥٨]

### ٠١ ٠٢ ١١ تعاريف ظهرت بفضل التيار الثالث

لكن اذا جاز لنا إهمال تعريفات أصحاب التيار الثالث ، فانه من غير المناسب ان نغفل عن ذكر الاثر العظيم الذي أحدثه « النحاة الشباب » في اللغويين الذين أتوا بعدهم •

ويكفي أن نذكر أن العالم اللغوي الفرنسي الكبير Antoine Meillet[١٥٩] هو من أعظم أتباع « النحاة الشباب » وأشدهم وفاء لمبادئهم وأحرصهم على نشر أفكارهم •

---

١٥٨ ـ عبدالرحمن الحاج صالح • مدخل الى علم اللسان الحديث • مجلة اللسانيات ، المجلد الثاني ، بتصرف •

١٥٩ ـ اكتملت شخصية A. Meillet ( ١٨٦٦-١٩٣٦ ) بتوجيهات de Saussure في الوقت الذي كان هذا الاخير يلقي محاضراته في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٩١ • ثم صار Meillet بعد ذلك الاستاذ اللغوي الذي لا ينازع في مقدرته طيلة حوالي نصف قرن من الزمن في فرنسا حيث أسس مدرسة « اللسانيات الاجتماعية » • نذكر من كتبه التي يمكن أن يستفيد منها الباحث اللغوي :

الا أن هذه التبعية التي لها وزنها الخطير في تطور علم اللغة الحديث ، قد كان لها خلفيات معقدة ، ان تتبعنا خطوطها الرئيسية ، استفدنا فائدة لا تقدّر بمقدار .

من المعلوم أن Antoine Meillet هذا ، المتأثر ، كما قلنا ، بما خلفه‌لنا « النحاة الشباب » لم يكتف بهذا ، بل انه اتصل اتصالا وثيقا ، من أجل أن يتقن دراسة اللغة بالعالم الاجتماعي الفرنسي المشهور Emile Durkheim (١٦٠) وتبنى مفهومين له ، لهما وزنهما الثقيل في علم اللغة الحديث .

=

Linguistique historique et linguistique générale
« علم اللغة التاريخي وعلم اللغة العام » . وهو في جزأين طبع الجزء الاول منه في باريس سنة ١٩٢٦ وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٣٨ . ولقد أعيد طبع الجزء الثاني في Klincksieck سنة 1951 وأيضا كتابه
Introduction à l'étude copmarative des langues Indo-européennes المطبوع بباريس ١٩٣٧ أي سنة بعد وفاته .
وانه لمن المفيد جدا الرجوع الى ما كتب Georges Mounin في كتابه Clefs pour la sémantique المطبوع بباريس سنة ١٩٧٥ ابتداء من صفحة ٧٨ الى صفحة ٩٥ حيث تحدث عن فكرة « النظام عند Meillet la notion de système chez A. Meillet

١٦٠ – عاش Durkheim ما بين ١٨٥٨ و١٩١٧ . قام في وجه Durkheim لا سيما مفهومه الخاص بالضغط الجماعي Contrainte sociale العالم الاجتماعي الفرنسي G. Tarde ( ١٨٤٣–١٩٠٤ ) الذي صار يحارب ما ذهب اليه Durkheim من ان المحبة أو السخط أو الكراهية أو الغيرة التي يظهرها فرد لآخر ليست ظواهر اجتماعية بل انها لا تعدو أن تكون فردية

=

ومن أجل هذا أعده مرحلة متطورة لرؤى « النحاة الشباب » .

أما المفهومان اللذان اعتمد عليهما Antoine Meillet فهما :

**اولا : المفهوم الذي نسميه ب « التصورات الجماعية »**

"représentations collectives"

ومن البديهي أن Durkheim لم يبتكر هذا المفهوم لانه أقدم منه بكثير[١٦١] ، وانما كان له الفضل في وضعه في صيغته الحالية

---

=

محضة تقع بين الافراد ولا يمكن ، في نظره بحال من الاحوال أن تعتبر ظواهر اجتماعية الا اذا اعتبرت في لحظة وحدة الجماعة بأسرها أو بأعظم جزء منها بسبب وعي أفرادها الاجتماعي نفسه .

وعلى كل فان هذا النزاع قد أفاد كثيرا موضوعنا علم اللغة ( انظر من أجل ذلك

W. Doroszewski: Durklein et Saussure, journal de Psychologic

ابتداء من الصفحة ٨٢ الى ٩١ من طبعة ١٩٣٣ .

١٦١ ــ ان أول من تكلم عن فكرة تقدم المجتمع على أفراده في الوجود على أساس أن الشخص، كعنصر نفساني اجتماعي ، ووليد الاجتماع والعمران هو ابن خلدون ( ازداد سنة ٧٣٢ هـ ــ ١٣٣٢م ، توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ ــ ١٤٠٦م ) لكن الذي جعل من هذه الفكرة ركنا أساسيا من أركان علم الاجتماع هو A. Comte ( ١٧٩٨–١٨٥٦ ) الذي صرح قائلا : « ان الانسان الحقيقي لا وجود له انما الموجود الانسانية ، حيث ان نشاتنا ونمونا كله راجع الى المجتمع مهما كانت نظرتنا اليهما » . ولقد سبقه ، كما قلت ابن خلدون الذي قال موضحا هذه الفكرة : « ان كيفية انتاج الحياة المادية هي التي يتوقف عليها التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي للحياة بأجمعها . فليس وعي الانسان هو الذي يسبب وجوده بل وجوده الاجتماعي هو الذي يسبب وعيه . » وسيكون كارل ماركس ( ١٨١٨–١٨٨٣ ) من الفكرتين المذكورتين أعلاه فكرة لا تختلف عن سابقيه الا في كونه جعل كيفية الانتاج هي العامل الوحيد لتطور المجتمع .

وتجريده ولفت نظر علماء اللغة الذين كانوا في زمانه لا ينظرون في اللغة الا الى الجانب الفردي ـ فيزيولوجيا كان أو سيكولوجيا ـ الى أهمية العامل الاجتماعي والى دوره الخطير في هذا الباب .

والتصورات الجماعية ، هي في اعتقاد Durkheim شيء زائد وخارج عن صفات الفرد ومكتسباته . فهي اذن قاسم مشترك بين جميع الاشخاص بسبب أنهم مجتمعون ومتعايشون ، ومن ثم فان جوهر تصرفات الفرد داخل جماعته ، كيفما كانت دوافع هذه التصرفات ومسبباتها وكيفما كانت عواطفه ومنشآت هذه العواطف ، لا تشكل ، بحال من الاحوال ، إمارة تميزه عن الافراد الآخرين ، ولا سمة يتّسم بها دون غيره من الناس .

وانه لمن الانصاف أن ننصّ هنا على أن Durkheim هذا لم يكن له هنا أيضا الفضل كل الفضل في ابراز هذه الافكار اذ أن كثيرا من الناس سبقوه اليها ولكن كان له الشرف الكبير في التنبيه على أن هذه الامور سابقة على وجود الفرد وخارجة عنه ، وستبقى وان ذهب ، وهي ، زيادة على هذا وذاك جبرية لا يملك الا أن يتقبلها ، راضيا أو مكرها ، والا نبذه مجتمعه وطرده .

**ثانيا : المفهوم الذي نسميه ب « الوعي الجماعي »**
"Conscience collectvie"

تبنى ، كما قلت أعلاه Antoine Meillet هذين المفهومين مضيفا اليهما ، زيادة على مبادىء النحاة الشباب جانبا نفسانيا للّغة ، لكن مغلباً ـ كما هو معلوم ـ الجانب الاجتماعي .

يتضح لنا كل هذا في مقال نستخرج منه التعريف الرابع .

## ٠١ ٠٢ ١٢ التعريف الرابع

قال Meillet في هذا المقال الذي عنونه بـ Comment les mots changent de sens. « كيف تتحول معاني الكلمات » : ان اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الاولى ، وبالفعل فان تحديدها يناسب تماما التحديد الذي اقترحه Durkheim : فللّغة وجود مستقل عن وجود كل واحد من الاشخاص الذين ينطقون بها رغم انه ليس لها أي وجود في خارج المجموعة التي يتكون منها هؤلاء الاشخاص[١٦٢] ، فانها مع ذلك ، وبسبب شموليتها ، خارجة عن كل واحد منهم • والدليل على ذلك هو أنه ليس في وسع أي واحد منهم أن يغيرها وأن كل تغيير فردي للاستعمال يحدث رد فعل : وأغلب ما يكون الجزاء في هذا الرد السخرية التي يتعرض لها كل انسان لا يكون كلامه مثل كلام الناس •• فالصيغتان اللتان حدد بهما Durkheim الحدث الاجتماعي اي وجوده خارج الفرد وقسريته ظاهرتان في اللغة ظهورا بيّناً •••[١٦٣]

## ٠١ ٠٢ ١٣ التعريف الخامس

أما التعريف الخامس ، فهو التعريف الذي أطلقه عليها العالم اللغوي William D. Whitney [١٦٣آ] •

قال هذا العالم اللغوي الامريكي معرّفا اللغة : « أنها ليست قوة

---

١٦٢ ـ يكون ما جعلنا تحته سطرا تعريفا للغة من الوجهة الدوركايمية وحسب المفهومين المذكورين (١٢٠٢٠١) •

١٦٣ ـ عبدالرحمن الحاج صالح • مجلة اللسانيات المجلد الثاني : صفحة ٣٦ •

١٦٣ آ ـ هو William Dwight Whitney ازداد سنة ١٨٢٧ • انظر ترجمته بتفصيل في كتاب Linguistique du XXe siècle لـ Georges Mounin صفحة ١٥ ) •

من قوة النفس ، ولا هي فعل الفكر المباشر ، بل أثر غير مباشر لهذا الفكر : انها آلة »

يظهر بوضوح من هذا التعريف أن وتني يحاول أن يرد على فكرة العالم الالماني السابق الذكر Humboldt الذي كان يرى ،كما سبق أن ذكرنا ( أنظر ٠١ ٠٢ ٠١ ) أن للانسان قوة باطنية Inner Kraft فُطِر عليها دون الحيوانات الاخرى تجعله قادرا على التفكير والتعبير بالكلام في الوقت نفسه • فالانسان واللغة اذن ، في نظر هومبولت ، اعتمادا على هذا الاعتقاد ، خرجا الى الوجود معا •

ويحرص Whitney أشدّ الحرص على أن يبين للناس أن هذه الآلة ليست منحصرة في الصوت المقطع وحده ، لان هذا العنصر الاساس في اللغة ، هو من بعض الوجوه ، ماديّ وفيزيائيّ ، بل ان الصوت ، عنده ، دال على معنى من معاني الفكر ، فاللغة هي اذن نظام Système من الاصوات ، ذو مضمون معقول ، وهي تشبه بذلك ، أي بكونها نظاما ، الاجسام المنتظمة الاجزاء ذوات البنية Structure المعينة[١٦٤] • فاللغة عنده اذن هي قبل كل شيء وسيلة للتبليغ والتخاطب بين الناس ، والالفاظ ، كما يراها Whitney هي بالنسبة الى ذهن الانسان كالأدوات بالنسبة الى يديه ، معارضا بذلك كما سبق أن أوضحت هومبولت الذي يرى أن للانسان قوة باطنية Innere Kraft فُطِر عليها تجعله قادرا على التفكير وعلى

---

١٦٤ـ أنظر كتابه The Life and Growth or langage في طبعته الاولى نيويورك سنة ١٨٧٦ • الصفحتان ٤٩ و٥٠ • أنظر ترجمته الفرنسية « la vie du langage » المطبوع في باريس ب Baillere سنة ١٨٧٧ •

التعبير بالكلام في الوقت نفسه . وان الانسان واللغة خرجا الى الوجود معا ، حسب رأي هومبولت .

نستطيع ، مما سبق أن قلناه في هذا التعريف الخامس ، أن نستنتج ثلاثة أمور .

٠١ ٠٢ ١٤ الاستنتاج الاول

نرى بوضوح أن Whitney يحدد هنا ، ولاول مرة في تاريخ علوم اللغة مضمون هذا العلم الذي يحرص شديد الحرص على جعله لغويا محضا مبعدا عن ساحته :

أولا : المتخصص الفيزيائي الذي يبحث في علم الاصوات .

ثانيا : المتخصص الفيلولوجي الذي يدرس النصوص القديمة والنقوش ويضع لها الشروح المساعدة على فهمها .

ثالثا : المتخصص الفيزيولوجي الذي يدرس علم وظائف الاعضاء

رابعا : المتخصص النفساني الذي يدرس علم النفس اللغوي في عصرنا الحاضر .

خامسا : المتخصص الاثنولوجي الذي يدرس خصائص الشعوب والجماعات . وهو بهذا يجعل علم اللغة يضيق ضيقا مفرطا بحيث لا يبقى له الا المظهر اللغوي المحض الذي يتشعّب الى ثلاث مستويات : وضع ، وبنية ، وصورة .

٠١ ٠٢ ١٥ الاستنتاج الثاني

ان هذه الافكار التي أثارها هومبولت وتصدى لها وتني بالنقد والتحليل قد تعرض لها قبلهما ، وبشكل علمي دقيق ، علماء اللغة المغاربة قديما . كان على رأس هؤلاء العلماء المغاربة النحوي المغربي

أبو موسى الجزولي المتوفى سنة ٦٠٦ أو ٦٠٧ هجرية[١٦٥] الذي أجاد

---

١٦٥ — توفي بمراكش . قال العباس بن ابراهيم في كتابه « الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام » انه لازم عبدالله بن بري بمصر ( صاحب الحواشي المشهورة على المعرب للجواليقي مخطوط بالاسكوريال رقم ٧٧١ ) كان الجزولي اماما في العربية . كما انه تصدر للاقراء بالمرية وولي خطابة مراكش . عاش وقتا بمراكش مع امام علماء اللغة بالاندلس ابي علي بن الشلوبين ( انظر الحاشية رقم ١٦٦ ) . في عهد المنصور الموحدي . يعتقد المرحوم العباس بن ابراهيم أن ابا علي بن الشلوبين غادر مراكش الى اشبيلية بسبب تفوق الجزولي عليه في علوم اللغة . صنف في النحو كتابا أســـماه « القانون » اعتنى به كثير من الناس فشرحوه . يقول ابن خلكان عن هذا الكتاب : « أنا لا أعرف هذه المقدمة ( يقصد انه لا يفهم ما فيها ) وما يلزم من كوني ما أعرفها ان لا أعرف النحو » علق الاستاذ عبدالله كنون على هذا الكلام فقال : « وفي هـــذا الكلام مبالغة لعل الحامل عليها هو هذه الصياغة المنطقيـة التي صيغت بها المقدمة (القانون) من الحدود والتصاريف والقضـــايا الكلية التي تنطبق على الاحكام الجزئية ومهماته في ألفاظ قليلة ، ومن ثم قال فيها مجدالدين بن ظهير الاربلي منوها بهذه الظاهـرة التي كانت سبب التحامل عليها من هؤلاء . »

مقدمة في النحو ذات نتيجة — تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر — ولا عجب للبحر ان يقذف الدرا

وتسمى المقدمة أيضا بالكراسة والقانون والاعتماد . ( النبوغ المغربي في الادب العربي ، صفحة ١٥٢ من الجزء الاول ) من كتبه المقدمة في النحو ، وله شرح عليها . كما انه ترك لنا الامالـــي وشرح أصول ابن السراج ومختصر الفسر لابن بني في شرح ديوان المتنبي ، كما أن له شرحا على قصيدة بانت سعاد (مطبوع) وشرح القانون أبو العباس الشـريشي السـلوي زيادة على الشــــلوبني ( الحاشية رقم ١٦٦ ) .

ومن علماء اللغة المغاربة الذين خدموا اللغة العربية خدمـــة لا تنسى نذكر الامام زين‌الدين أبا زكريا يحيى بن معط تلميـــذ الجزولي المتقدم الذكر . له الفية في النحو وهو الذي نظم جمهرة =

الجواب عن هذا السؤال : « هل وضع الواضع المفردات والمركبات الاسنادية أو المفردات خاصة دون المركبات ؟ » مهتديا في جوابه الى صواب قلّ نظيره . نجد الجواب عن هذا وبحوثا لغوية أخرى . لا تقل أهمية عنها في مقدمته المسماة بـ « القانون » . وهي مقدمة شرحها العالم اللغوي الاشبيلي الشلوبني[166] في مؤلف سماه « شرح

---

=

ابن دريد وشرع في نظم الصحاح للجوهري . مات سنه ٦٢٨ هجريه . ومنهم أيضا ابن رشيد ( توفي بفاس سنه ٧٢١ هـ . صاحب شرح كتاب سيبويه . وابو عبدالله بن اجروم ( توفي بفاس سنه ٧٢٣هـ ) وأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الازدي المراكشي . المعروف بابن البناء العددي ( توفي بمراكش سنه ٧٢١هـ ) له الكليات النحوية . وأبو زيد عبدالرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي ( توفي عام ٨٠٧ هجريه ) له الشرح المشهور الذي يحمل اسمه على الالفية . وله شرح الاجرومية . وله التعريف في علم التصريف وشرح المقصور والممدود . ولدقون المتوفى سنه ٩٢١ هجرية شرح على جمل الزجاجي . ( أنظر آخرين في اللسان العربي وهي مجلة دورية يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في مقال لمدير هذه المجلة تحت عنوان « اللغويون أو علماء العربية في المغرب » . صفحة ٣٠٤ ، المجلد العاشر ، الجزء الثالث . )

١٦٦ - هو أبو محمد بن عبدالله الازدي الشلوبني أو الشلوبين من كبار علماء النحو واللغة ولد باشبيلية عام ٥٦٢ هجرية ( ١١٦٦م ) وتوفي بها عام ٦٤٥ هجرية ( ١٢٤٧م ) . له شرحان على المقدمة الجزولية ، كبير وصغير . له أيضا تعليق على كتاب سيبويه . والشلوبني نسبة الى حصن « الشلوبين » أو « شلوبينية » بجنوب الاندلس يسميه الاسبان Salobrena . ترك كتابا سماه « القوانين » وهو في علم اللغة . وقد اختصره في مؤلف عنونه بـ « التوطئة » . وله أيضا « شرح المقدمة الجزولية » ( أنظر الحاشية رقم ١٦٧ ) جعله كبيرا وصغيرا على عادة القدماء كما ترك لنا « تعليقا على كتاب سيبويه » شأنه في هذا شأن جل معاصرين من اللغويين .

المقدمة الجزولية » الذي توجد ثلاث نسخ منه في الاسكوريال[١٦٧].

ولقد كان فضل الجزولي في توضيح هـذه الفكـرة عظيما اذ لم يستند عناصرها ، كما قد يتبادر الى ذهن بعض الناس من شـيخه ابن بري[١٦٨] ، ما دام هذا الاخير لم يحط الاحاطة الكلية بهذا المبدأ في يوم ما من أيام حياته ، حتى يجوز أن نقول انه أورثه تلميذه كما اعتقد أن الجزولي هو الذي أوحى لابن أجروم[١٦٩] قوله : « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع » ولا يستبعد أن يكون ابن المعطي النحوي[١٧٠] قد أخذ هذه الفكرة اللغوية العظيمة عنه أيضا اذ أنه التقى

---

١٦٧ ـ يوجد هذا الشرح في الاسـكوريال تحت الارقام الآتيـة : ٢ ، ٢٦ ، ١٩٠ .

١٦٨ ـ هو عبدالله بن بري بن عبدالجبار المقدمي ، المصري الاصل ، عالم من علماء اللغة البارزين ولد بمصر عام ٤٩٩ هجرية ( ١١٠٦ ميلادية ) ومات بها سنة ٥٨٢ هجرية ( ١١٨٧م ) له من المصنفات التي طبعـت حتى الآن « الرد على ابن الخشـاب » و « غلط الضعفاء من الفقهاء » وأما كتبه التي لا زالت مخطوطة « شـرح شـواهد الايضاح » في النحـو ، و « حواش على صحـاح الجوهري » و « حواش على درة الغواص للحريري » و « حواش على المعرب للجوالقي » .

١٦٩ ـ هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسـي المعروف بابن آجروم النحوي المقرىء الشهير . ولد عام ٦٧٢هـ . وتوفي بفاس سنة ٧٢٣ هجرية ، ١٣٢٢م . له زيادة على المقدمة في النحو شرح على حرز الاماني للشاطبي ونظم في قـراءة نافـع سماه البارع .

١٧٠ ـ هو يحيى بن عبدالمعطي بن عبدالنور الزواوي نسبة الى قبيلـة زواوة . سكن دمشق زمنا . سافر الى القاهرة حيث درس بهـا وتوفي سنة ٦٢٨ هجرية (١٢٣١م) . له « الالفية في علم العربية » ( أنظر ١٤٠١٠٢٠١ ) وهذا كتاب مطبوع متداول . كما طبعـت

=

به في مدينة الجزائر وأخذ العلم عنه . كما أخذ هذه الفكـرة أيضا ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هجرية ، ثم بعدهم العـالم اللغوي الاندلسي أبو حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥ هجرية ، وعـن ابن المعطى أخذها العـالم اللغوي ابن مالك وأثبتها في صدر ألفيته التي يقول فيها :

وأستعين الله في ألفيـة ... مقاصـد النحـو بها محوية
تقرب الاقصى بلفظ موجـز ... وتبسط البذل بوعـد منجـز
وتقتضي رضـا بغير سخط ... فائقـة ألفيـة ابـن معـط

**٠١ ٠٢ ١٦ الاستنتاج الثالث**

ان الفكرة التي عارض بها Whitney العالم الالماني Homboldt هي التي هيأت في أمريكا وفي أوروبا ما نسميه ب « النظم » الذي يعتبر أن لا قيمة للالفاظ ، كوحدات ، الا في علاقـة بعضها ببعض ، وأن استقلالها يكاد يكون منعدما . وهذا النظم مجزأ ، كما هو معـلوم ، الى عنصرين عبر عنهما Vendryes تعبيرا واضحا حين قال : « تنتظم كل جملة نوعين من العناصر المتميزة : أولا التعبير عن عدد من المعاني التي تمثل أفكـارا ، وثانيا الاشـارة الى بعض العـلاقات التي بين الافكار . »[(١٧٠)آ]

---

=

معه ترجمة هولندية وله « الفصول الخمسون » لا زال مخطـوطا و « البديع في صناعة الشعر » مخطوط كذلك . وله مما لا أعرف له وجودا « العقود والقوانين » ويقال انه في النحو و « أرجوزة في القراءات السبع » ( انظر كذلك الحاشية رقم ١٦٥ ) .

١٧٠ آ ــ أنظر هذا في كتابه « اللغة » ترجمة عبدالحميد الـدواخلي ومحمد القصاص ، طبعة الانجلو ١٩٥٠ ، صفحة ١٠٤

اما الاستنتاج الذي يمكن أن نستنتجه نحن الآن من هذا ، هو أن علماء اللغة العرب ، قد سبقوا ، مرة أخرى ، غيرهم الى التعبير عن هذه الفكرة . قال عبدالقاهـر الجرجاني[١٧١] : « اعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك : أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يَعْلَقَ بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك . هذا ما لا يجهله عاقل ، ولا يخفى على أحد من الناس . واذا كان كذلك فعلينا أن ننظر الى التعليـق فيها والبناء ، وجعل الواحـدة منها بسبب من صاحبتها : ما معنـاه وما محصوله . واذا نظرنا في ذلك علمنا ألا محصول لها غير أن تعمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعـولا ، أو تعمد الى اسـمين فتجعل احدهما خبرا عن الآخر ، أو تتبع الاسم إسما ، على أن يكون الثاني صفة للاول ، أو تأكيدا له ، أو بدلا منه ، أو تجيء باسم بعد تمـام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا ، أو تتوخى من كلامه هو لاثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا ، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر ، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنـى أو بعد اسم من الاسماء التي ضُمِّنت معنى ذلك الحرف ، وعلى هـذا القياس . »[١٧٢]

---

١٧١ ـ عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، ابو بكـر عـالم لغوي كبير وامام من أئمة أصول البلاغة . من كتبه المطبوعـة ، الكثيرة التداول : « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » و « اعجاز القرآن » و « العوامل المئة » . اما مصنفاته التي لا زالت مخطوطة فهي : «الجمل» وهو في النحو . و « المغني» شرح به «الايضاح» و « المقتصد » اختصر به المغني السابق الذكر . توفي عام ٤٧١ هجرية ( ١٠٧٨ ميلادية )

١٧٢ ـ عبدالقاهر الجرجاني في « دلائل الاعجاز » الصفحتان ٤٤ـ٤٥ .

اذا كان « النظم » هو المهم كما يفهم من كلام الجرجاني . واذا كان لا بد أن ينظر الى « البناء » لا الى الالفاظ مجردة ان أردنا فهم ما يقول القائل ، فانه يجوز لنا أن نقول ، وبكل تأكيد : ان اللغة لا تقول نفس الشيء أبدا لان التغييرات التي تقع داخل البنيات تبرز في كل لحظة وحين ، وانه يوجد على مستوى البنية جوانب مقبولة لدى الجميع . ومن هنا حق لنا أن نصرح من غير تردد : انه يكاد يكون من المستحيل ايجاد جمل جامدة ، مسبوكة على نمط واحد ودالة على معنى واحد في ذات الوقت وفي كل حين .

واذن ، اذا كان كل فرد منا ، يعبر عن بلاغ شخصي ، حين يتكلم، فأين الرابط الذي يربط بين الموضوعية التي تجعل كل متكلم مفهوما من الجميع وبين الذاتية التي تجعل كل متحدث يعبر عن نفسه في اللغة وبواسطتها ؟ ذلك أن الكلام نظام ، نظام اللغة ونظام الاشياء التي يدل عليها ، أي نظام العلاقات التي تحددها اللغة بين رجل وآخر . و « البنية القاعدية » Infrastructure هي التي تدفع به في الاخير الى أن يقول بنظام العلاقات هذه ، مع أن اللغة سابقة عليه[١٧٣] .

واللغة تؤكد وتنفي في نفس الوقت ، لكن الذي تنفيه هو في الحقيقة أهم مما تؤكده ، اذا ما أعتبر أن كل نفي ما هو الا موقف من مواقف المعنى المضاد .

يعوض علم اللغة المنطقي ، سواء في الايجاب أو النفي المنجزين في أشد اتصالهما الازواج المتضادة ، نعم/لا ، التشابه/الاختلاف .

١٧٣ _ J.M. Auzias في كتابه Clefs pour le structuralisme ص٣١

وكأنها مفصولة ، وكأن بعضها يحيل على البعض الآخر في نفس الوقت •

لا يكون ، على هذا ، للفظ نفس المعنى أبدا ، ومن هنا يقول علماء اللغة أن كل خطاب هو سلسلة من التغييرات انطلاقا من المواد اللغوية[١٧٤] •

### ٠١ ٠٢ ١٨ عود الى صاحب التعريف الخامس

أما إن عدنا الى صاحب التعريف الذي نتحدث عنه ، وهو العالم اللغوي الامريكي Whitney ولاحظنا أنه لم يصل الى عمق تفكير Humboldt ولم يكن له سعة اطلاعه ، فاننا لن نتعدى الحقيقة ان قلنا إنه يعد من المؤسسين العظام لعلم اللغة البنيوي الحديث • ويكفي حجة على ذلك أن نذكر أنه ألهم ، بفضل آرائه الصائبة في هذا الباب عالمين بارزين في هذا الفن هما Ferdinand de Saussure السويسري و Bloomfield الأمريكي •

ونعتقد أن Whitney قام يحارب ذلك التيار الثاني الذي عنوناه بـ « التشبيه بين اللغات والكائنات الحية » (٠٢٠١ ٦) اذ رأى فيه انحرافا خطيرا يصيب في الصميم ما كان يراه « العقيدة السليمة » • فلم يقبل ، كما قبل صاحب التعريف الثالث Wilhem Schleicher (٠٢٠١ ٨) أن تكون اللغة ظاهرة من الظواهر البيولوجية فحسب ، ورفض رفضا قاطعا أن يدرج علم اللغة تحت حكم العلوم الطبيعية كما هو الشأن عند أصحاب التيار الثاني • وهكذا كفر بما آمن به Schleicher الذي كان يعتقد أن تطور اللغة ناتج عن تغيير في ذهنية

---

١٧٤ ــ نفس المصدر ، ص٣٣

الامة وتطورها ، لانه كان يؤمن ايمانا لا يخامره شك بأن تطورها هو نتيجة « لاحداث الزمن » ومن ثمة ، فهي « ظاهرة تاريخية منفصلة » .

**١٠٢٠١٩ · التعريف السادس**

لو كنا بصدد تحديد كلمة « لغة » لذاتها ، لجعلنا تعريف Roman Jakobson من التعاريف الاولى التي يمكن أن ننطلق منها لدراسة هذه الظاهرة الانسانية العظيمة . ولكننا ، ونحن بصدد محاولة الدخول في أمر نشأة اللغة ، فضلنا أن نبدأ بتعاريف العلماء الذين انشغلوا بأمور ظهور اللغة ولم يأتوا بتعاريف لها الا عرضا ومن أجل الوصول الى غاية أخرى جعلوها هدفهم الاسمى . وكانت هذه الغاية عندهم الوصول الى اللغة الام ، اللغة الاصلية Ursprache
أما Roman Jakobson فهو من طراز آخر،ومن غير زمن هؤلاءالذين تعرضناالتعاريفهم . انه من عصر تقدّم فيه علم اللغة خطوات جبارة لم يبق معها الوقوف عند تحديد كلمة « لغة » أمرا ذا بال ، اذ صار البحث في أجزاء الكلمة وفي أقسام الجملة وفي العلاقات بين هذه الاجزاء وهذه الاقسام قضية خطيرة تشغل البال وتؤجج العواطف ، وتكثر بسببها الخطب الحماسية في المؤتمرات ، ويسيل من أجلها على صفحات المجلات المتخصصة المداد مدرارا .

و Roman Jakobson هذا ، المزداد (المولود) بموسكو سنة ١٨٩٦ والمتخرج في جامعة براغ Prague سنة ١٩٣٠ ، المتتبع عن كثب الحياة الفنية ، لا سيما ما يتعلق منها بالفن التكعيبي والمستقبلي Futurisme المتأثر جدا — بعد أن انتقل عن الصورية — بما يسمى بـ « البنيوية » وبمنشئيها كـ Picasso و Joyce

أخذ من أحد أعمدة البنيوية قولة جعلها خطة لنشاطه اللغوي ، قولة ضمنها في كتابه Selected Wrintings المطبوع في لهاي سنة ١٩٦٢ ، وهي موجودة في جزء منه سماه بـ Retrospect صفحة ٦٣٢ •

هذه القولة التي اقتبسها من منشىء الفن البنيوي وطبقها على اللغة ، نجعل منها نحن التعريف السادس • قال : « اني لا أومن بالاشياء ، ولكن بالعلاقات بين الاشياء » •

يترتب على موقف Roman Jakobson هذا أمران :

أولهما : ان Roman Jakobson شغل دورا بالغ الاهمية في توليد المدرسة الصورية السوفياتية Formaliste الذائعة الصيت التي أنجبت لنا ، من بين ما أنجبت من أعمال تذكر فتشكر ، دراسة متينة ودقيقة للغة الشعرية(١٧٤)آ •

هذا التجاوب بينه وبين الصوريين السوفيت هو الذي دفع به الى الكتابة عن Maiakovsky (١٩٣٠) وعن Pouchkine (١٩٣٥) كما دفع به أيضا الى الكتابة عن الشاعرين التشيكيين Erben (١٩٣٦) و Macha (١٩٣٨) •

الا أنه ــ في الاقل في الميدان الذي يهمنا نحن ، وهو النشاط الفيلولوجي ــ بدأ يتحول شيئا فشيئا عن الصورية (Formalisme) التي لا تهتم الا بالتقنيات الأدبية ليعتنق البنيوية أخيرا•

ان كلامه في هذا الصدد ( أي حينما اعتنق البنيوية ) وان أتى

---

١٧٤ آ ــ Essai de linguistique générale ، Roman Jakobson ترجمه الى اللغة الفرنسية Nicolas Ruwet المقدمة ، صفحة ٨

مختصرا ، موجـزا ، مقتضبا جـدا ، فهو ينبئنا بما سيكون البحث اللغوي عنده . قال من بين ما قال :

« ان التاريخ الادبي لمرتبط أشد الارتباط « بالانواع » التاريخية الاخرى ، وكل نوع منها يمتاز بقوانين بنيوية خاصة . وانه ليستحيل أن يقع الربط ـ خارج دراسة هذه القوانين ـ بين « أنواع » الادب ومجموعات الظواهر الثقافية الاخرى . فحين ندرس نظام الانظمـة ونهمل القوانين الداخلية لكل نظام نرتكب خطأ منهجيا فادحا . »

يعطينا هنا بهذه الكلمات القلائل ، النقط الرئيسية لما ستكون عليه برامج الانتروبولوجية (Anthropologie) [١٧٥] في المستقبل

ثانيهما : ان التعريف الذي أتى به Roman Jakobson والذي طبقناه على اللغة في نطاق المذهب البنيوي الذي آمن به ليأخذ منطلقه، ولا شك ، من بحوث العالم اللغوي السويسري Ferdinand de

---

١٧٥ ـ يجمل بنا ان نعرف في هذا المدخل على الاقل أسـماء المذاهب التي اهتمت باللغة وبعض اقطابها . هناك الاجتماع ـ اللغوي مع Meinet ، Sommerfelt وعلم البيـان مع Baliy
وعلم اللغـة النفسي مع Secheaye ثم الوظائفيون مـع Frei و Martinet ، فالمقننـون الايطاليـون مع Develo و Nenciani فعلماء الاصوات البنيويون مع Karcevskey و Trubecboj و Jakobson فعلم اللغة الرياضي مـع Herdan Mandelbrot وعلم الدلالة مع Ullemann و Pr.oto و Trier فعلم النفس اللغوي ( وهو غير علم اللغة النفسي ) مع Presson و Osgood
والمؤرخيون ( لا أقصـد المؤرخون وانما أعبر عن Historiciste مـع Pagliaro و Coseriu

Saussure أول لغوي[176] تجرأ على تقديم دروس في علم اللغة العام لطلبة في كلية وهي دروس نشرها بعده على العموم تلامذته سنة ١٩١٦ تحت عنوان « دروس في علم اللغة العام »
"Cours de linguistique generale"

## ٠١ ٠٢ ٢٠ التعريف السابع

قال de Saussure معرّفا اللغة ، باسطا نظره في هذا التعريف :

« ان اللغة ، وهي ما هي ، فمن أين نظرنا اليها ، لن نجد فيها بسيطا ، اذ دائما ، وفي كل مكان نرى هذا التوازن المعقد للالفاظ المتحاكمة • فاللغة صيغة وليست جوهرا » •

---

١٧٦ ـ ولد F. de Saussure يوم ٢٦ نوفمبر ١٨/١٠ درس في ثانوية Hofwyl حيث تعلم على يد استاذه Pictet
تعلم الاغريقية والفرنسية والالمانية والانجليزية زيادة على اللاتينية •
قرر أن يؤلف « نظاما عاما للغة » فأنهى في سنة ١٨٧٢ جزءا سماه « نظرة على اللغات » الذي وجهه الى استاذه Pictet •
كانت الفكرة الرئيسية في هذا الكتاب ، أنه يمكن ابتداء من أية لغة أن يصل الباحث الى الجذور الثنائية والثلاثية شريطة أن يضع :

p = b = f = v. k = q = ch و t = d = th

شجعه Pictet على المضي في هذا الاتجاه لكنه نصحه بالابتعاد عن محاولة تطبيق نظرياته هذه على « كل نظام عالمي للغة » •
وبعد موت Pictet سنة ١٨٧٨ ، ظهرت الطبعة الثانية لكتابه
Origines Indo-europeennes. Essai de paleontologie linguistique
فكتب نقدا عليه نشره في جريدة «جونيف» يوم ٢١ ابريل١٨٧٨ •
وهو نقد يبين بوضوح أن de Saussure أصبح «رجل الاسس» كما نعته Benveniste

يظهر ان حب « المقابلة » أضحى مغروسا فيه لا بسبب عادة فطرية فقط وانما أيضا بقرابة سلفية ثقافية •

ولـ De Saussure هــذا يرجع الفضــل في ضبط بعض المصطلحات التي يحتاج اليها كل باحث في نشأة اللغة • ذلك أنه فرق بين الدراســة الحركيــة للغــة التي ســماها Diachronique (Evolution, dynamique, historique) وهو النشاط اللغوي الذي يهتم بوصف لغة ما خلال تطورها التاريخي عبر مختلف عصورها •

فاذا أردنا أن نعطي مثالا تطبيقيا لما يهمنا نحن في هذا الفصــل ، قلنا ان الدراسة الحركية العربية هي تلك الدراسة التي ســتبحث في نصوص قديمة للغة العربية من أمثال ما هو موجود الآن في كتــب الاقدمين كديوان المفضليات وأخبار النوابــغ وآثارهم في الجاهليــة وصدر الاسلام وأشعار هذيل ونصوص أخرى قديمة صاعــدة مــع التاريخ ما صعد الى يومنا هذا •

وقد يقتصر جهدنا على حقبة معينة أقصر من هذه التي سبقت • كأن نقوم بدراسة حركية للغــة العربية طيلة المدة التي عاش فيهــا الرسول (ص) وما بعدها بقليل أو كثير فندرس مثلا الرسالة التي بعث بها الى المقوقس ، والتي بعث بها الى المنذر ابن ساوى وما شابههما من النصوص التي أنشئت في هذه الفترة وفي الزمن القليل الذي تلاها، ندرس اللغة فيهما من حيث تغيرها من فترة الى أخرى •

أقول فرق De Saussure بين الدراسة الحركية(177) للغــة وبين الدراسة السكونية Synchronique التي تهتم بوصف « حالــة » معينة من اللغة في فترة ما •

---

177 ـ بدأ سنة 1874 يدرس اللغة السنسكريتية في كتاب Bopp ( انظر 20-104 والهامش 125 ) الذي عثر عليه في الخزانــة =

فاذا ما طبقنا هذا على اللغة العربية زمن ما قبل الجاهلية ـ وأقصد قبل زمن امرىء القيس ـ ( وهذا النوع من النشاط اللغوي صالح جدا ليطبق أيضا على لغة ميتة ) لنقوم بدراسة سكونية للغة العربيه القديمة ، اهتممنا بتحليل مجموعة من النقوش القديمة الممثلة لمرحلة ما من حالة اللغة العربية في عصر من عصورها القديمة ، كأن ندرس نقوشا صفوية أو ثمودية أو لحيانية أو سبئية أو نبطية اذا أردنا أن نعرف « حالة » اللغة العربية القديمة في كل حقبة من حقبها على حدة •

ومعلوم أن ميزة هذا النوع من الدراسة ، في أيامنا هذه تتطلب

---

= العامة لعصمة بلجيكة ، ثم بدأ في سنة ١٨٧٥ يدرس ، حسب ارادة أبويه الفيزياء والكيمياء بجامعة جونيف • لكنه لم يكن ليهتم الا باللغة • وفي سنة ١٩٠٥ تولى تدريس « علم اللغة المقارن » مخلفا على هذا الكرسي الاستاذ Wertheimer ولم يكن De Saussuer اجنبيا عن هذه المادة التي يهواها • لقد سبق أن نشر سنة ١٨٧٧ كتيبا صغيرا تحت عنوان « علم اللغة » وهو الخطاب الذي القاه في افتتاح دروس علم اللغة • اصبح في ربيع ١٨٧٦ عضوا في جمعية اللغويين بباريس التي انشئت حديثا • وبهذه الصفة التحق كطالب في الفلسفة في الجامعة الالمانية الشهيرة Lespzig وبدأ يدرس فيها ، برضى الجمعية بحثا تحت عنوان Le suffixe T. ثم بحثا آخر تحت عنوان
Sur une classe De verbes latins en eo
نشرا في مجلة الجمعية الصادرة سنة ١٨٧٧ الصفحات ٣٣٩ الى ٣٦٩ ، ثم بحثا ثالثا سماه
La transformation latine de tt en as suppose t-elle un intermédiaire st.?
واخيرا بحثا رابعا تحت عنوان
Essai d'une distinction des differents "a" indo-europeens.
لكن اكبر بحث انجزه De Saussure هو في نظري Le memoire sur le systòme primitif des voyelles dans les langues indo europeennes.

الا تعد الاعتبارات التاريخية ملائمة لدراسة « حالات » اللغة المزمع تحديدها مؤقتاً •

وليوضح أكثر هذا المبدأ ، أعطى Ferdinand de Saussure مثالا تطبيقيا حيا بلعبة الشطرنج •

ان حالة رقعة الشطرنج تختلف باستمرار ، أي تتغير حالتها بعد كل تحويل لقطعتين من قطعه أثناء اللعب •

ولكنه ، مع ذلك ، يمكن للملاحظ ، كما يمكن لكل لاعب أن يصف حالة اللعب بتمامه انطلاقا من مكان كل قطعة على رقعة الشطرنج • وليس من المهم اطلاقا أن نعرف كيف وصل المتباريان الى حالة خاصة من اللعب ، فان نسأل مثلا بعد كم تحريكات ، وما هي نوع التحريكات ، وفي أي نظام أو اتجاه وقع تحويل القطع ، ما دمنا نستطيع أن نصف الحالة الحاضرة لقطعة الشطرنج وصفا سكونيا دون الرجوع الى « اللعبات »(١٧٨) السابقة •

هذه الحالة الشطرنجية ، ان طبقناها على اللغة ، قلنا اننا قمنا بدراسة سكونية للغة •

ومن هنا رأى Franz Bopp أن اللغات ، اعتمادا على هذا المثال تتغير باستمرار •

وكما أمكن وصف حالة رقعة الشطرنج في وقت معين من اللعب، يمكن وصف « الحالات » المتعاقبة للغة ، كل على حدة ، مرتبطة أو

---

١٧٨ ــ بتسكين العين واقصد بذلك « المرة » لذلك جعلتها على « فعلة » وجمعتها جمعا سالما ، وافق ذلك الاستعمال أم لم يوافق ، اذ المعنى الجديد هو الذي يجب ان يولد اللفظ •

غير مرتبطة بالمجتمع أو الجغرافية • ففي هذه الحالة ، نكون قمنا بدراسة حركية للّغة •

لا بد لتوضيح هذه المبادىء من ضرب الامثلة ، وهي أمثلة يؤتى بها لاول مرة في النشاط اللغوي عند العرب فيما أعلم •

ففي اللغة العربية الجنوبية ، مثلا ، في « حالة » من « حالاتها » ولتكن هذه الحالة عبارة عن فترة ما قبل المسيحية نجد أن اللفظ العربى الجنوبي مثلا « (حكم) » وهو اله من آلهة الساميين لا يدل على «حكمة» ، كما قد يتبادر الى ذهن من ينظر الى اللغة العربية في حالتها الراهنة ، وانما الى «الحكيم» •

وان اللفظ الجنوبي « ود » لا يدل ، هو أيضا على « الحب » كما قد يفهم عندنا حاليا ، وانما على « المحب » •

والاسم الالهي (سعد) في الحقبة ذاتها لا يعني « سعد » أو « حظ » كما قد يفسر الآن في عصرنا ،وانما كان يدل في هذه «الحالة» اللغوية على « مسعد » •

يمكن أن نستنتج بسهولة أن أسماء الآلهة في هذه الحالة المدروسة هي ذات معان وصفية •

كانوا ، في هذه «الحالة» من اللغة العربية القديمة التي أشرنا اليها يعبرون عن أداة التعريف بـ « أن » توضع آخر الاسم • كانوا يقولون « رحمن أن » في «الحالة» ذاتها لما نطلق عليه نحن الآن في «حالة» لغتنا الحاضرة بـ «الرحمن» •

نستطيع أن ندرس «حالة» أخرى للّغة العربية القديمة نهتم فيها بما انشغلنا به في «الحالة» السابقة ، وهي أداة التعريف ، لكن بشكل

حركي بحيث لا نبقى في «حالة» واحدة ، فنتمكن آنذاك من ملاحظة التغيير الحاصل بين فترة وأخرى أو بين حالتين جغرافيتين متباينتين أو مظهرين اجتماعيين مختلفين • وعندها سنلاحظ أن الاسم الجاهلي العربي الشمالي لا يختلف بين مرحلة وأخرى الا في أداة التعريف التي تتكون ، كما هو معلوم ، في اللهجات السامية المختلفة من ضمائر اشارة متباينة •

وهكذا سنجد في «حالة» « رحمنأن » وفي حقبة تاريخية أخرى « هـ رحمن »[١٧٩] ، كما رأينا في « الحالة » التي مرت بنا آنفا « رحمن أن » •

وانه ، ولا شك ، يخطىء من يرى منا أن علماء اللغة العرب لم ينتبهوا الى هذا النوع من دراسة اللغة • هذا النوع الذي كان ـ كما سبق أن قلنا ـ الفضل في ايجاده وتوضيحه للناس للعالم اللغوي السويسري Ferdinand de Saussure

فهذا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المتوفّى سنة ٣٣٤هـ ، يقوم بدراسة لغوية في كتابه « الاكليل » لا محيد من وصفها بأنها محاولة أولية لدراسة حركية للغة العربية • يقول لنا وهو بصدد وضع شرح لنقش عربي قديم كتب بخط المسند وورد فيه اسمان من أسماء الملوك هما « علهان » و « نهفان » ، كتبا برسم يوافق « حالة » اللغة في تلك الفترة ، ثم بنى عليها مقارنات وخرج باستنتاجات • قال : « كذلك يكتبون ، بحذف الالف اذا وقعت في وسط الحروف ، وتبعهم المسلمون في كتابة المصاحف ، فطرحوا ألف

---

١٧٩ ـ ما زالت العبرية تعرف اسماءها حتى اليوم بهذه الاداة •

« الرحمن » ، وألف « الانسان » وألف « السموات » ، وكذلك « علهن » منقوص من « علهان » و « همدن » من « هَمْدَان » و « بنين » من « بنيان » وهذا ما تؤديه أحرف الكتاب ، فأما اللفظ فعلى التمام . وكذلك يحذفون الواو الساكنة من وسط الحروف مثل « مبعوث » والياء الساكنة مثل «شمليل » والالف الساكنة مثل هلال وبلال وأميال(١٨٠) .

٠١ ٠٢ ٢١ كيف بين De Saussure الفرق بين تزامنية ووصفية ( سكونية وحركية )

أعتقد أنه من المفيد جدا أن أترجم النص الذي أوضح فيه هذا الامر قال :

« قليل هم اللغويون الذين يظنون أن ادخال عنصر الزمن يحدث لعلم اللغة العام مشاكل خاصة ويجعل علمهم أمام طريقين متضادين تماما .

هذا وان كثيرا من العلوم الاخرى لتجهل جهلا تاما هذه الثنائية. اذ الزمن لا يحدث عندها أي حدث خاص . لقد اتضح لعلم الفلك أن الاجرام السماوية يلحقها تغييرات ملحوظة ، لذا لم يكن في حاجة الى أن يجزأ الى شطرين ، وان علم هيئة الارض تعمل دائما على مراحل متلاحقة ، لكنه حينما ينشغل « بحالات » قارة من « حالات » الارض لا يجعل من هذا الانشغال موضوعا دراسيا منفصلا تمام الانفصال .

---

١٨٠ ـ انظر الاكليل للهمداني ، الجزء العاشر ، صفحة ١٦ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٨ .

هناك علم وصفي للحقوق وتاريخ للحقوق ، وليس هناك أحد من الناس يجعــل منهما علمين متضادين • ان التاريــخ السياسي للامــم ليتحرك كله في الزمن ، ومع ذلك اذا أنجز مؤرخ صورة لحقبة زمنية، فاننا لا نشعر أننا خرجنا من التاريخ • وعلم المؤسسات السياسية هو عكس ذلك وصفي بالدرجة الاولى ، ولكنه يستطيع ، بمناسبة ما ، أن يتطرق الى موضوع تاريخي ، دون أن تختل وحدته(١٨١) •

ان الثنائية التي نتحدث عنها لتلازم ، بالعكس العلوم الاقتصادية ملازمة قوية • وهنا ، خــلافا لما يقع في الحالات السابقة ، يكــون الاقتصاد السياسي وتاريخ الاقتصاد علمين متميزين تماما داخل علــم واحد • وان المصنفات التي ظهرت حديثا(١٨٢) في هذين الفنين لتوضح

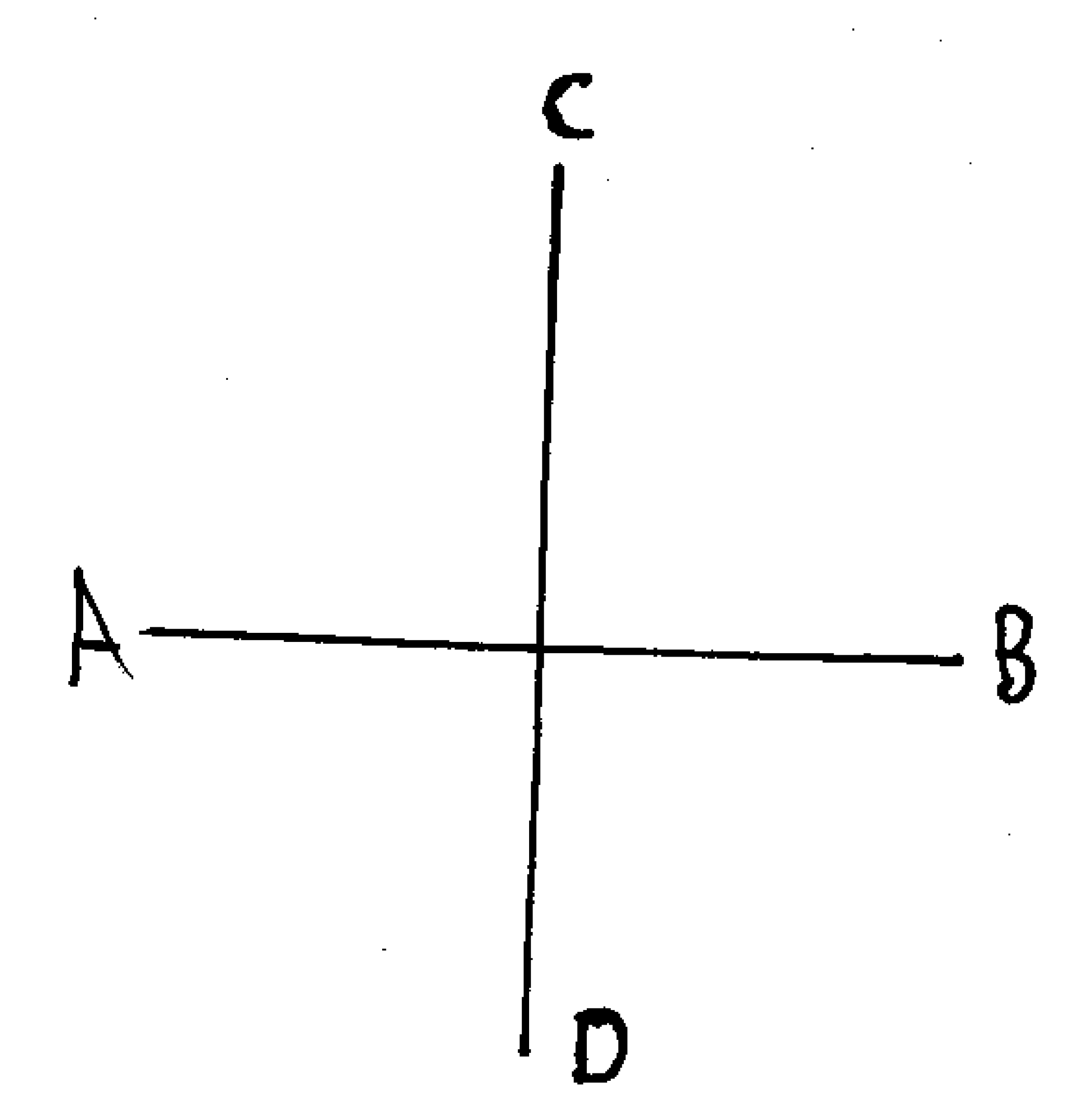
---

١٨١ ـ نقد Wells سنة ١٩٤٧ نظرية De Saussure مؤكدا اننا نستطيع أن ندرس علم الفلك وعلم هيئة الارض وكذا التاريــخ السياسي دراسة سكونية كما نستطيع أن ندرسهم دراسة حركية وغاب عنه ان Saussure هو ، في الحقيقة ، على هذا الــراي الا انه يريد هنا فقط أن يوضح التدرج الموجود بين علوم يكــون العنصر « زمن » فيها مهملا ، أو على الاقل لا ينظر اليه الا على أساس أنه في درجة ثانوية وبين علوم الاشياء التي لها « قيمة » ويكون التفريق بين عنصريها الزاميا ، وأخيرا بين علوم مثل علم اللغة التي يكون فيها التمييز بين السكونية والحركية حتميــا في كل « حالة » لا تكون فيها « القيمة » الا بين العناصر المتضادة ، بمعنى ان « القيم » لا تكمن الا في نظام الخلافات ( انظــر الهامش رقم ١٦٤ من الصفحة ٤٥٠ من كتاب « دروس في علم اللغة العام ل Saussure طبعة Payot ١٩٧٤ •

١٨٢ ـ لا شك أن De Saussure يقصد هنا كتاب Carl Menger الذي أصدره سنة ١٨٨٣ ومؤلف Vilfredo Pareto المســمى

=

آكثر هذا التباين • وهكذا نستجيب ، دون شعور منا ، ونحن نعالج الامر على هذا الشكل الى ضرورة داخلية فينا • وان ضرورة مماثلة لهذه هي التي ترغمنا على تجزيء علم اللغة العام الى شطرين ، لكل منهما مبدأه الخاص ، نحن هنا ، مثل ما كنا في العلوم السياسية ، أمام فكرة « القيمة » فالامر يهم ، في العلمين معا ، نظام التعادل بين أشياء من أصناف مختلفة ، في الواحد عمل وجزاء وفي الآخر مدلول[١٨٣]




ودال[١٨٤] ومما لا شك فيه أن جميع العلوم ستستفيد ، لو تسجل ، بكل دقة ، على محورين ، الاشياء التي تهتم بها • ولا بد من التمييز ، في كل وقت وحين ، وحسب الرسم البياني الآتي بين :

أولا : محور الحدوث الآني (AB) Axe des simultaneités

ويهتم بالعلاقات بين الاشياء المتواجدة التي يكون ادخال فكرة الزمن فيها غير واردة بالمرة •

---

= Manuale di economia Politica الذي نشر سنة ١٩٠٦ وترجم الى الفرنسية سنة ١٩٠٩ وكتابا آخر لنفس المؤلف بعنوان Trattato di sociologio generale

١٨٣ ـ أخصص المصطلح « المدلول » لما يعرف عند علماء اللغة المحدثين ب Sgnifié و « المدلول عليه » لما يعرف عندهم ب reférent واما المصطلح Signe فاقابله باللفظ العربي « الدليل » ، واما Signification فهي عندي «دلالة»

١٨٤ ـ الدال هو ما يعرف عند الاوربيين ب Signifiant وقد أطلقت عليه لفظا في الرقم ١٨٣ اعلاه • الدليل •

الذي لا يمكن أن يعتبر الا شيئا واحدا في كل مرة والذي يوجـد عليه جميع أشياء المحور الاول بتغييراتهن •

ان هذا التمييز سيصبح بالنسبة للعلوم التي تعمل على القيـم ، تارة ضرورة علمية وأخرى ضرورة لا مناص منها •

واننا لنستطيع ، في هذا الميدان أن نتحدى العلماء أن ينظمـوا أبحاثهم تنظيما دقيقا مع اغفال المحورين وبدون تمييز نظام القيم في حد ذاتها واعتبار هذه القيم تفسها بالنسبة للزمن •

وعلى عاتق اللغوي تقع مسؤوليه هدا التمييز ، اذ اللغـة نظـام لقيم محضة لا يميزها شيء عدا الحالة الحينية لعناصرها •

فالقيمة ، لها ، من أحد جوانبها ، أصل في الاشياء وفي علاقاتها الطبيعية بعضها ببعض ( شبه ما هو واقع في علم الاقتصاد ، اذ تقدر فيمة الارض بالنسبة لما تنتجه • ) •

ونستطيع ، الى حد ما ، أن نتتبع هذه القيمة في الزمـن دون أن ننسى أنها تتعلق ، في كل لحظة بنظام قيم معاصرة • وان ارتباطها بالاشياء ، ليمنحها ، رغم كل شيء ، أساسا طبيعيا • ومن هنا ، فان التغييرات التي نلحقها بها ليست تحكمية دائما ، ليس لها أي مكان في علم اللغة[185] •

---

١٨٥ – تبين هذه الفقرة بوضوح العـلاقة بين تحكمية الدليل ومنهـج التحليل السكوني • ان الدليل اللغوي عنده تحكمي بالدرجة الاولى في شطريه المدلول والدال • وعليه فان الشيء الوحيد الذي يحدد الصورة الخاصة لمدلول او دال هو كون المدلولات الاخـرى او =

نضيف أنه ، بقدر ما يكون نظـام القيم معقدا ومضبوطا ضبطا محكما ، بقدر ما تكون الحاجة ماسة ، من أجل هذا التعقيد ، الى دراسته بالتتابع حسب المحـورين . وليس هناك أي نظام له هـذه الخاصية مثل ما للغة ، اذ لا يلاحظ ، في أي مجال مثل ما يلاحظ في اللغة من التدقيق في القيم ، الموضوعة في الحسبان ومن العدد الهائل والمتنوع من الالفاظ ، وذلك كله في استقلال متبادل ، غاية في الدقة . ان تعدد الدلائل الذي أشرنا اليه سابقا عندما فسرنا استمرار اللغة ، ليمنعنا ، منعا كليا من أن ندرس العلاقات في الزمن والعـلاقات في النظام في ذات الوقت .

هذا هو السر الذي من أجلـه نميز بين علمـين للغة . فكيف سنسميهما ؟ ان الالفاظ المقدمة ليست كلها صالحة ، بدرجة واحدة ، لتحديد هذا التمييز . وهكذا ، فالتاريخ وعلـم اللغة التاريخي ، لا يستعملان ، اذ يوحيان بأفكار غامضة جدا[186] .

=

الدلالات الاخرى تتواجد معه في نفس النظام وتحدده بهذا الشـكل وليس غير . معنى هذا من الناحية الموضوعية أن القيمة ، كـل القيمة ، لمدلول ما موكولة ، من خلال النظام الى المجتمـع الذي يمنح الحياة ، بشكل ما الى النظام بأسره ، أما من حيث منهـج البحث ، فمعناه أننا اذا أردنا دراسة دليل في واقعه كدليل ، وجب أن ننظر اليه في النظام الذي يستمد منه قيمته ( أنظر الهـامش ١٦٧ في صفحة ٤٥١ ) من كتاب De Saussure

١٨٦ ــ تعود F. de S. ان يقابل لفظة « تاريخ » بلفظة « وصف » التي تعادل عنده « متحرك » Diachronie ولقـد اسـتعمل F. de S. لفظة « تاريخ » في معنى مغاير جـدا ، وذلك في الدرس الافتتاحي الذي القـاه بجنيف والذي ذكـره Engler سنة ١٩٦٦ . قال Ferdinand de Saussure

=

وبما أن التاريخ السياسي يشمل وصف عصور كما يهتم بسرد حوادث ، فانه من المحتمل أن يظن أنه حين نقوم بوصف الحالات المتعاقبة للغة ، فاننا ندرس اللغة حسن محور الزمن • من أجل هذا يحسن أن ينظر الى الظواهر التي تجعل اللغة تمر من حالة الى أخرى، منفصلة •

فاللفظتان « تطور » و « علم اللغة التطوري » هما أشد ضبطاء ولذا سنستعملهما كثيرا •

نستطيع بالمقابل أن نتحدث عن علم « حالات اللغة » أو « علم اللغة الاستقراري » Lingustique statique (١٨٧)

ولكي أحدد أكثر هذه المقابلة وهذا التشابك في هذين النوعين من الظواهر المتعلقة بنفس الموضوع ، فاننا نفضل أن نتحدث عن

---

« بقدر ما ندرس اللغة ، بقدر ما نزداد يقينا من أن كل ما في اللغة «تاريخ» بمعنى أنها موضوع تحليل تاريخي وليس موضوعا مجردا ، وانها تتكون من وقائع لا من قوانين • وكل ما يظهر انه عضوي في اللغة ما هو في الحقيقة الا عارض يمكن ان يحدث كما يمكن آلا يقع أبدا •»

وقال مرة أخرى : « ليس لاي قانون يتحكم في الفاظ معاصرة معنى لازم • » أنظر الحاشية رقم ٤١ من كتاب « دروس في علم اللغة العام » صفحة ٤١٦

١٨٧ ـ يظهر ان (F. d. S.) كان مترددا بالنسبة لاستعمال اللفظتين «استقراري » ، «متطور» • ويكفي ، اذا أردنا ان ندرك ذلك أن نعود الى المراجع المخطوطة التي خلفها لنا F. de S. او الى Lexique de la terminologie saussurienne لصاحبه R. Angler والمطبوع سنة ١٩٦٩ في Utrecht-Antwerp

« علم اللغة السكوني » و « علم اللغة الحركي »[188] كل ما يتعلق بالمظهر الاستقراري من علمنا فهو « سكوني » وكل ما له اتصال بالتطور فحركي ، كما أن « ساكن » و « متحرك » يعبران بالتتابع عن « حالة » لغوية و « مرحلة تطورية » .

---

188 ـ انطلقت هاتان اللفظتان انطلاقا كبيرا واشتهرتا اشتهارا عظيما بعد F. de S. الا أنه يعتقد أنه لم يكن له الفضل لفظة «حركي» Diachronique ذلك انه سجل لاول مرة ، في دفتر ظهرت فيه حتى لفظة Semiologie علم الاشارة وهو دفتر كتب قبل سنة ١٨٩٤ . ( انظر الحاشية رقم ١٦٩ من كتاب F. de S. صفحة ٤٥١ . )

## ٢٠٢ تعريفنا

### ٢٠٢٠١ تمهيــد

يصعب علينا أن نكون لانفسنا تعريفا شاملا ، دقيقا للغة ،لا سيما وقد أصبح علمها ـ من جهــة ـ علما متشعب الفروع ، متعــدد الجوانب ، ذا أفق متسع وقعــر عميق ، بعد أن كان ـ من جهــة أخرى ـ علما مهملا اذ لم يحظ من طرف الاقدمين بالعناية التي كان يستحقها أو على أصح تعبير لم يعالج بالمنهج العلمي الرصــين الذي كان في امكانه أن يبرزه علما محترما قائم الذات . وهو يشارك معارف قديمة ، قدم الانسان على الارض ما دامت اللغة هي الآلة التي لازمته منذ كان ، لكنه يعد ، في نفس الوقت ، علما حديثا لانه لم يدرس دراسة علمية منهجية الا حديثا جدا .

وان الناس ليحلو لهم ، كل حسب هواه أن يروا وقتا معينا لنشوء هذا العلم . أما نحن العرب ، فان كثيرا منا يعتقد أن ظهور علم اللغة برز بشكل أولي طبعا ثم صار ينمو ويترعرع مع(١٨٩) :

أولا : نصائح أبي الاسود الدؤلي ( توفي سنة ٦٩ هـ ) المقدمــة لتلاميذه .

ثانيا : توجيهات نصر بن عاصم الليثي المتوفى بسنة ٨٩ هـ .

ثالثا : دروس الاخفش الاكبر المتوفى سنة ١١٠ هجرية والموجودة الآن في كتابه « معاني القرآن » .

---

١٨٩ ـ اثبت قصدا مع كل لغوي وفاته في صلب الموضوع ، لا في الحواشي لاثير أكثر الانتباه الى تطور علم اللغة عند العرب الاقدمين .

رابعا : مواقف عبدالله بن اسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧هـ
خامسا : تلميحات يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩ هجرية •
سادسا : مؤلفي عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ • صاحب كتابي الاكمال والجامع في النحو •

سابعا : محاضرات أبي عمرو بن العلاء ذي العلم الواسع المحيط بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، المتوفى سنة ١٥٤ هـ •

ثامنا : نظريات الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ
تاسعا : مبادىء امام النحاة سيبويه المتوفى سنة ١٨٣ هجرية ، تلك المبادىء التي أجملها في مؤلفه « الكتاب » •

عاشرا : تصانيف معاد الهراء وأخيه أبي جعفر محمد الرؤاسي صاحبى كتاب الفيصل ، أول مصنف في النحو الكوفي ، من طائفة الشيعة • توفي الهراء سنة ١٨٧ هجرية ومات الرؤاسي سنة ١٩٠ هجرية •

لكنه لم ينتصب علما قائما بذاته الا في بحر القرن الرابع الهجري مع أمثال ابراهيم بن السري المعروف بالزجاج ، المتوفّى سنة ٣١١ هجرية صاحب « معاني القرآن » و« الأشتقاق » و « فعلت وأفعلت » ومع أبي بكر محمد ابن الحسن بن دريد ، المتوفى سنة ٣٢١ هجرية صاحب « الاشتقاق » و « الملاحن » و « الجمهرة » ، ومع الانباري المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية صاحب « كتاب الاضداد » • ومع أبي علي اسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية صاحب كتاب « الامالي والنوادر » و « البارع » و « المقصور والممدود والمهموز » • ومع أبي منصور محمد ابن أحمد الهروي المعروف بالازهري ، المتوفى سنة ٣٧٦ هجرية ، صاحب المعجم المشهور بـ

« التهذيب » ومع أبي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ هجرية ، صاحب « مختصر العين » •

ثم وصل هذا العلم الى أوج ازدهاره مكتملا مع آواخر هذا القرن وأعني القرن الرابع بفضل جهود أمثال ابن جني وابن فارس اللذين سنفرد لهما حيزا مهما في جزء آخر من هذه التوطئة •

هكذا يرى بعضنا نشوء علم اللغة عند العرب ، أما عند غيرنا وفي الغرب على العموم فانهم اختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا • فمنهم من يرى أنه نشأ مع القرن الخامس قبل المسيح ومنهم من يعتقد انه لم يستقم علما مميزا عن غيره الا في سنة ١٨١٦ ميلادية مع نشر Franz Bopp لكتابه في المقارنة بين اللغات ( أنظر ٠١ ٠٢ ٥ ) ومنهم من يرى أنه برز علما ناضجا بعد سنة ١٩١٦ ميلادية حين نشر طلبة Ferdinand de Saussure محاضرات الاستاذ الكبير على الناس ،ومنهم من يؤخر ظهوره الى سنة ١٩٢٦ مع أعمال Troubetskoy أو حتى سنة ١٩٥٦ مع Noam Chomsky

وعلى كل فانه لم ينتشر في المغرب ويدخل الجامعات دخولا رسميا الا بعد ١٩٥٠ •

من أجل ذلك كله صعب علينا أن نكون لانفسنا تعريفا للغة يشفي غليلنا •

### ٠٢ ٠٣ ٢ تحديد مجال التعريف

فاذا أردنا ، اعتبارا لهذه الصعوبة ، أن نجد تعريفا للغة نركن اليه باطمئنان ، ولا يترك ، بحال من الاحوال المجال للاخذ والرد ، بحيث لا يشمل كل التعابير المعروفة وغير المعروفة ، بل يقتصر فقط

على لغة الانسان ، ويساعدنا على الدخول مباشرة في دراسة حقيقية للغة ، كان لزاما علينا اعتبار مسائل ، منها :

أولا : الرأي المعقول القادر على ابعاد ما استنتجه Vendryes قندريس ، الذي ، حين سمع الفلاسفة يعرفون اللغة بأنها « وسيلة للتعبير عن الافكار » استنتج : « أن جميع الاعضاء تستطيع اذن أن تخلق لغة »[190] .

وهو استنتاج انطلق منه العالم اللغوي Guilio Berioni سنة ١٩٣٨ ليقول : « ان الايماء لغة ، وان الضحك لغة » .

ولقد أسبغ Georges Mounin ، سنة ١٩٦٨ على هذا الاستنباط شمولية بتوسيعه الى مستويات أخرى ليسهل عليه الجواب عن السؤال المشهور الذي شغل الناس حقبة ليست بالقصيرة ، ذلك السؤال هو : لماذا لا يهتم اللغويون بكل هذه اللغات المزعومة ؟ » قال Georges Mounin : « ان الرسم سيكون على هذا التأويل لغة ، وان الموسيقى والنحت يصيران لغة ، وان السينما وجميع المعارض ومباراة الملاكمة ، وحفلة دين ، ولقاء رياضيا لكرة القدم ، وقانون السير والامارات البحرية ، وغناء الطيور ، وصراخ القرد والوعل ورقص النحل واحتكاك أقران النمل كلها علامات وكلها لغة »[191] .

أما الرأي المعقول الذي يمكن أن نعتمد عليه لرد هذه الاستنتاجات غير الصائبة ، فهو أن التركيب الفيزيولوجي للانسان هو غيره عند

---

١٩٠ ـ مثل ما استنتج أيضا Jespersen حين قال : « ان أية وسيلة للتبليغ بين الاحياء هي لغة » ( انظر Encyclopedia Britannica

١٩١ ـ انظر Lingustique في سلسلة Saigers رقم ١ المطبوع سنة ١٩٧١ ، صفحة ٣٠ .

الحيوانات ، اذ أن خلقة هذه خالية مما نطلق عليه الجهاز الصوتي ، سواء ذلك الجهاز الصانع للّغة المنمّي لها أو ذلك الجهاز العضلي العصبي الذي يلتقطها ، خاص بالانسان وحده .

فاذا ما قيل ان الطيور زوّدت بجهاز للتحليق لم تزود به الحيوانات الاخرى غيرها ، واذا كان الفضل في عيش الاسماك على مختلف أنواعها وأحجامها تحت الماء يعود الفضل فيه لجهاز خاص أودع أجسامها لم يودع مثله في أجسام الحيوانات الاخرى ، فانه يحسن الا يرى أحد غرابة فيما ذهبنا اليه من استئثار الانسان بجهاز للنطق خاص به غير متوفر عند غيره .

ولا يهمنا الآن متى وفق الانسان في استعمال هذا الجهاز وهل بدأ حياته على الارض صامتا ، قبل أن يعي أن له جهازا يستطيع أن يستغله للتعبير عما يريد ،كما يبحث عن ذلك العالم اللغوي Révész في كتابه « نشأة اللغة وما قبل التاريخ » أو أن ارادة التعبير عما يجول في خاطره لم تبرز كما يحاول أن يشرح لنا ذلك R. R. Schmidt في كتابه « فجر العقل الانساني »(١٩٣) الا بعد أن تهذب الفكر الانساني نفسه(١٩٤) ، أي منذ حوالي ٣٠٫٠٠٠ سنة ، وهو الوقت الذي ظهر فيه الانسان العاقل(١٩٥) على الارض ، بقدر ما يهمنا أن نعلم أن هذه الافكار وعلى الاخص تلك التي توجد في صدر هذا الرأي ، درسها أجدادنا بكيفية لم يصل اليها بعد علماء اللغة في

---

١٩٣ ـ أنظر على الاخص صفحة ٢٦٠ وما بعدها من النص الالماني المطبوع في باريس سنة ١٩٣٦

١٩٤ ـ صفحة ٥٢ من النص المترجم والمطبوع في باريس سنة ١٩٥٠

١٩٥ ـ « **اللسان والانسان** » للدكتور حسن ظاظا صفحة ٤٥

الغرب • وها هي ( رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ) شاهدة على ذلك • فهي لا تعرف لنا الكلام بقدر ما تبين ـ وحسب النص الذي سنورده منها أسفله ـ العلاقة بين اللغة والفكر • قال أصحابها :

« وذلك أن النطق اللفظي انما هو أصوات مسموعة لها هجاء ، وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو من الجسد ، وتمر الى السامع من الآذان التي هي أعضاء من أجساد أخرى ، وأن النظر في هذا المنطق والبحث عنه والكلام على كيفية تصاريفه وما يدل عليه من المعاني يسمى علم المنطق اللغوي ، وأما المنطق الفكري الذي هو أمر روحاني معقول ، فهو تصور النفس معاني الاشياء ذاتها ورؤيتها لرسوم المحسوسات في جوهرها وتمييزها لها في فكرتها وبهذا النطق يحدّ الانسان ، فيقال : انه حيٌ ناطق مائت ، فنطق الانسان وحياته من قبل النفس ، وموته من قبل الجسد ، لان اسم الانسان انما هو واقع على النفس والجسد جميعا • »

وانه لفخر لنا عظيم أن نرى علماءنا الأقدمين سبقوا غيرهم الى القول بأن « الكلام عند الانسان لا يتوقف على مجرد القدرة على استعمال الصوت الطبيعي في الصياح أو تقطيعه الى حروف ذات مخارج متميزة • »

يمثل هذا الفريق من علمائنا ، زيادة على أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جنّي ومعاصرهما ابن فارس أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الذي قال في كتابه « الحيوان » مفرقاً بين صياح الحيوانات ولغة الانسان : « وزعم صاحب المنطق أن كل طائر عريض اللسان ، فالافصاح بحروف الكلام من أوجه ، ولابن آوى صياح يشبه صياح الصبيان ، وكذلك الخنزير • وقد تهيأ للكلب مثل

عو عووو وأشباه ذلك ، وتهيأ للغراب القاف وتهيأ للببغاء من الحروف اكثر ، فاذا صرت السنانير وجدتها قد تهيأ لها من الحروف العدد الكثير ، ومتى أحببت أن تعرف ذلك فاسمع تجاوب السنانير وتوعد بعضها لبعض في جوف الليل • ثم احص ما تسمعه وتتبعه وتوقف عنده ، فانك ترى من عدد الحروف ما ان كان بها من الحاجات والعقول والاستطاعات ، ثم ألفتها ، صارت لغة صالحة الموضوع ، متوسطة الحال ، واللغات انما تشتد وتعسر على المتكلم بها على قدر كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها وخفتها ، وسلسها وثقلها وتعقدها في أنفسنا •»[١٩٦]

ثانيا : الرأي السديد القادر على ابعاد المعتقد الفاسد القائل ان للكلام غريزة أصيلة في الانسان وان طبيعته مميزة به •

ومعلوم أن الذين يذهبون هذا المذهب يسوون بين تعلم الانسان المشي مثلا وبين تعلمه الكلام ، وليس بينهما في حقيقة الامر أي تشابه• ذلك أن الطفل يبدأ في المشي عندما تصل قوته العضلية والعظمية والعصبية الى مستوى معين ، وان لم يساعده أحد ، لانه هو وحده يبذل الجهد دون أن يرشد اليه ، وهو وحده ، وتلقائيا ينهض على قدميه شيئا فشيئا ، يكبو ثم يستقيم ليعاود المشي من جديد الى أن يتمرن عليه • ثم يتعدى مرحلة المشي المتعثر البطيء الى المشي العادي، ثم الجري •

أما الكلام فأمره شيء آخر ، اذا أردناه أن يتكلم لقناه ذلك ، فان تركناه وحده منعزلا عن الانسان الناطق لن يتكلم حتما لانه لم يكن

---

١٩٦ ـ كتاب الحيوان ، الجزء الخامس ، ابتداء من صفحة ١٨٦ من طبعة بيروت •

تعلم كيف يعبر عما يدور في خلده • وبهذا يتضح فساد الرأي القائل بأن الكلام غريزة أصيلة في الانسان •

ثالثا : الرأي القوي القادر على ابعاد ما ذهب اليه بعض اللغويين من أن المادة الاساسية في الفاظ اللغة ، وهي الصوت ، يحمل في جرسه ما يوحى بمدلول هذه الالفاظ • بمعنى أن الهيكل المسموع للالفاظ يحاكي أصوات الطبيعة ، ثم صار هؤلاء يصنفون هذه الالفاظ التي اكتسبها الانسان بالفطرة كما يدعون ، حين يقلد الاصوات المنتشرة في الطبيعة ، الى مجموعتين ، مجموعة الفاظ الانفعال ومجموعة الفاظ ذات الجرس المعبر •

أما المجموعة الاولى فهي التي تعبر عن الحسرة والالم والحزن والدهشة والتفجع والاستغراب ، وما الى ذلك •

آمن بهذه النظرية التي تعد بحق المنطلق الرئيسي للبحث العلمي في قضية « نشأة اللغة » العالم اللغوي الكبير ابن جني الذي ما فتىء يعرضها على طول مؤلفاته وعرضها ، معتقدا أنها نظرية مبينة لا يمكن أن يتسرب الشك اليها •

قال مؤيدا هذه النظرية : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغة كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح ، وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد • وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقتبل • »(١٩٧)

١٩٧ ـ الخصائص ، الجزء الاول ، صفحة ٤ ، السطر الرابع عشر •

كما آمن بهذه النظرية وأيدها أكثر ابن بابشاذ[198] المتوفى سنة ٤٦٧هـ ( ١٠٧٧ ميلادية ) الذي لم يكن يترك فرصة تمر دون أن يبين صلاحيتها •

وانه ليسهل علينا بيان خطأ هذه النظرية في هذه المجموعة ، ذلك أن ما استعمله من الالفاظ الداخلة فيها لم يقتبس بعينه من الاصوات اللا ارادية للطبيعة ، اذ لا يمكن أن يكون وجود صوت منها ــ على فرض وجوده ، ولو بصفات تقريبية ــ في الالفاظ المستعملة عند الانسان في هذا الباب دليلا قويا على تأصل ألفاظ الانفعال من الصيحات الطبيعية ، لسبب بسيط ، وهو أن ما نسمعه من الطبيعة من ضوضاء وجلبة لا ينطبق على ما يصدره الانسان من أصوات لا شعورية صادقة في حالات انفعاله ، والصيحات الطبيعية ، زيادة على ذلك ، ثابتة على وضع واحد لا يتغير ، وضع ليس له وجود في لغة الانسان ، ولا يستعمل بذاته في التبليغ والتخاطب بين الناس •

واذا تشابه صوت منها بصوت يقاربها في وجه من الوجوه في لغة الناس ، واستعمل في شعر أو نثر ، وكانت له دلالة مقبولة عند بني الانسان ، فلأن ذلك ناتج ، اما عن سياق حال مؤثر بمعناه الاجمالي ، لا باجزائه كل على حدة ، واما أن اللفظ الطبيعي ــ ان قبلنا تجاوزا

---

١٦٨ ــ طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري الجوهري أبو الحسن ، امام عصره في علم النحو • من مؤلفاته المقدمة في النحو ( لا زال مخطوطة ) ، « شرح الجمل » للزجاجي ، في النحو ( مخطوط أيضا ) ، « شرح الاصول » لابن السراج • أنظر ترجمته في الجزء الاول من الوفيات ، صفحة ٢٣٥ وفي بغية الوعاة ، صفحة ٢٧٢ وغيرهما •

انه مستمدّ من صيحة لا ارادية طبيعية ــ يفسر بما صاحبه من الفاظ لغوية لها دلالتها بعيدة عن الطبيعة •

ومع كل هذا يبقى التصور الذي يوحي به هذا اللفظ الطبيعي، بالرغم عن كل شيء ، باردا لا يوقد شعورا ولا يوحي بجمال •

يمكن أن نستشهد للوجه الاول ، أي حين يكون سياق الحال مساعدا على التفسير ، ببيت ابن أبي ربيعة ، وهو يتغزل على طريقته بامرأة قلدت سخافا نزل على مكان حساس من صدرها لا يراه ابن أبي ربيعة الا سالت لعب فيه ، واندفعت ، دون شعور منه التنهدات والحسرات على هذه القلادة المحظوظة ، المنزلة مقاما محمودا ، أغلى أمنيته الاستئثار به هو دون غيره • قال :

قلدوها من القرنفل والدرّ سخافا واها لـه من سخاف

فمدلول هذه الصيحة اللا ارادية الطبيعية لا يستقيم ، وبالتالي لا يؤثر في النفس الاثر البليغ المحرك للشعور الا بسياق حال أجاد سبكه وأحسن تمثيله الغزل المتهتك على الشكل الذي وصفناه قبل قليل •

ويمكن أن نستشهد للوجه الثاني ، أي حين يفسر الصوت القصير الدال على الانفعال والمرتد الى صيحة لا ارادية طبيعية بما صاحبه من الفاظ لغوية لها دلالتها في حد ذاتها ، ( دلالة موجودة طبعا في معجم اللغة ) • ومع ذلك يبقى التصور ، رغم هذا التفسير باردا ببيت للمتنبي يتوجع فيه من شدة الالم الذي تركه في نفسه بُعد الحبيبة • قليل •

أوه بديل من قولتي آها لمن نأت والبديل ذكراها

فأين هذا الجمال المستحوذ على الالباب ؟ أين هذه الروعة التي يفتتن بها كل قارىء وسامع ودارس لشعر المتنبي ؟ لقد ذهبت بكل هذا الصيحة الطبيعية التي لم تفهم حق الفهم ، ولم تدرك ، كما أراد لها الشاعر أن تدرك الا بمصاحبتها للالفاظ « بديل » و « نأت » و « ذكراها » .

وأما المجموعة الثانية ، أي صاحبة الجرس المعبر والتي يطلق عليها المحدثون من علماء اللغة التركيب الاغريقي « أونوماطوبية » . وهو تركيب مكون من لفظتين من « اسم » بالاغريقية Oroma أو Oromacos ومن الفعل « خلق » Moiew فالترجمة الحرفية لهذا التركيب هي « خلق الاسم » ومعناه : « صفة الاسم ذي الجرس المعبر عن الشيء المتكلم عنه » وبعبارة أوضح « كلمة مخلوقة توضح الصلة بين اللفظ والمدلول » .

ومعلوم أن الذين ذهبوا هذا المذهب هم أولئك الذين اعتنقوا النظرية الداروينية المشهورة الخاصة بتطور الكائنات الحية . وواضح أن مفهوم نظرية داروين لم يقتصر على التطور الجسماني وانما قام بربط بين نشأة اللغة وبين الصيحات اللا ارادية الطبيعية ، سواء صدرت هذه الاصوات عن غريزة أو عن انفعالات ، ثم جعلها الأس الاصيل للغة بني البشر .

والفرق كما نرى ، واضح بين المجموعتين . فاذا كانت الفاظ الطائفة الاولى تتكون من صيحات فطرية عريقة في البساطة يمكن أن تمكس في بعض الحالات النادرة مردودا لغويا ، فان الفاظ المجموعة الثانية تقليد صوتي مرتب لما يسمع عادة في الطبيعة من ضوضاء وجلبة . وأحدث من أوضح هذه النظرية بشكل علمي بديع ، العالم

الانجليزي R. H. Robins الذي قال : « تحتل اللغة مكانة بارزة في ميدان الانظمة الرمزية وذلك لسببين في الاقل •

أولا : بينما تسعى الاشارات الموجودة على الخرائط والطرق وغيرهما لان تمثل بشكل بديع الاشياء التي تعنيها نرى ألفاظ لغة ما لا تشير الى واقع معاش أو الى جزئيات الحياة الا حين يتعلق الامر بكلمات الجرس المعبر ( الانوماطوبية ) •

ان العلاقة بين رنين Sonorité الكلمات مثل Coucou Cocorico et meumeu et Crieri الخ الموجودة فعلا • كما أننا نستطيع أن نعثر في مجموعات من أوزان أكثر اتساعا ، اشتراكا لقوى بين الصوت ونوع الشيء أو تطوره •

وهكذا فان كثيرا من الالفاظ الانجليزية المختومة بـ Ump مثل hump ( طرق ) و Clump ( مطرقة ) و Stump ( قطعة ) و dump ( وضع ايداع ) تحاول أن تعبر عن الثقل والسماكة والغباوة • ولقد كشف النقاب ، بطريقة تجريبية عن كلمات أخترعت اختراعا مثل takete et Combooiu et maluma و keberiki تعامل بنفس الدرجة من طرف الذين يسمعونها للمرة الاولى ، والذين يطلب منهم أن يضعوها في احدى الرسمين : الاول مدور والثاني حاد • وهكذا شوهد أن الكلمتين الاولين تجدان مكانهما دائما بالرسم الاول بينما نرى الآخرين في الثاني •

ومع ذلك فان ألفاظ الجرس المعبر وذات الرمز الصائت في اللغة، وان كانت ذات أهمية ، فانها لا تشغل في معجم لغة ما ، أية لغة كانت ، الا حيزا ضيقا ، رغم ما يذهب اليه من يرى أن أصل اللغة

هو في ضوضاء شبيه بهذا النوع • مع لزوم اعتبار أن أكبر جـزء من المعاجم هو تحكمي صرف في مقارناته هذه ، والا لاشتبهت ، أكثـر مما هي عليه الآن ، جميع لغات العالم ، شأنها في ذلك شـأن علامات الكتابـة التصـويتية في عـدد من أنظمـة الكنايـة التصـويرية (Pictographique) المستقلة تاريخيا والتي تظهر تشابها بينا فيما بينها•

ثانيا : ان المظهر الخاص للغة ، المتمثل في كونها تستطيع أن تربط بين رموزها وبين جميع امكانيات التجربة الانسانية في الميادين ، وعلى مستوى جميع عناصر العالم لهو أعظم شأنا مما سبق ، لانه يبوئهـا مكانة استثنائية • ولهذا السبب نرى أن جميع الانظمة الرمزية الاخرى تصير بالنسبة لها ، ان اللغات تستطيع أن تمتد الى ما لا نهايـة له ، وأن تتغير حسب أنواع متطلبات المتخاطبين •

يظهر هذا بوضوح في الملاءمة الفورية لمعجم اللغة الاسبانية مثلا مع الاختراعات العلمية والتغييرات المصاحبة لها التي وقعت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين •

هذا هو الذي يميز تمييزا مطلقا اللغة ، من جهة ، عن الرمزيـة مثل الايحاء ، ومن جهة أخرى عن نظام التبليغ الذي يستعمله النمل حتى ولو وصلت جاذبية هذا النظام ما وصلت ، وبلغ ايحاؤه للاسرار ما بلغ •

ولقد تنبه للقدرة العظيمة التي تملكها اللغة ولاتساع أفق نفـوذ سلطتها الكبيرة جميع المجتمعات •

ولا شك أن الشعور بهذه العظمة هو في الحقيقة أصل السـلطة السحرية التي يعطيها بعض الشعوب الى ألفاظ تدل على أشـياء أو تشير الى حوادث ذات أهمية بالغة أو أفعال مخيفة •

اننا لنلاحظ هذا الموقف السحري تجاه اللغة في الاعمال الخارقة للعادة ، الكثيرة الانتشار عند بعض المجتمعات التي لا زالت تنفعل بألفاظ أو عبارات معينة •

وانه ليسهل علينا هنا أيضا كما سهل قبلا ، حين أوضحنا عدم الاخذ بنظرية الفاظ المجموعة الاولى ، أن نبين تفاهة ما ذهب اليه أصحاب المجموعة الثانية • فنسألهم اذا كان لا بد أن نعطي صوتا معبرا في أمور الطبيعة • فأول شيء وجب أن يستأثر بتطبيق هذا المنحى • بعد الدلالات التي بها أصوات تعبر عنها ، هو الالوان التي تغدقها على الانسان الناطق الطبيعة بدون حساب • فلماذا لا نجد في اللغة ما يعبر بطريقتكم هذه عن اللون الاحمر مثلا ؟

فاذا ما أجابوا — ومن يدري ، قد يفعلون ! — « ان لفظة الاحمر لها جرس معبر حقيقة عن هذا اللون ، قلنا لهم : هل هناك مانع من حس أو وجدان أو عقل أو نقل أو حتى من طبيعة يمنعنا ، اذا كان الامر كما تقولون ، من أن نطلق لفظة « الاحمر » على خضرة النبات أو سواد الليل الحالك الظلمة أو على بياض الثلوج المتراكمة على قمم الجبال ؟

لا شك أنهم سيجيبون أن ليس هناك أي مانع من أي نوع كان الا التوافق والاصطلاح الحاصلان بين المتخاطبين في اطلاق هذه اللفظة « الحمرة » على مدلولها دون غيره •

**٠٣ ٠٢ ٢ الصفة النوعية للغات الطبيعية للانسان**

بقي علينا ، بعد أن انتهينا من ارساء مجال التعريف الذي نريده للغة أن نقوم بتحديد الصفة المخصصة للغات الطبيعية للانسان اذا

دنا أن يكون تعريفنا في مأمن من الزلل • ولانجاز هذا الامر ، لا بد ان نبحث في مسائل منها •

### ٢ ٠٢ ٠٤ اللغة ليست للتبليغ والتخاطب فقط

ولو كانت كذلك لدخلت ضمنها الخارطـة الجغرافية مثلا التي تخاطب الناس وتبلغهم المعلومات ، كما يدخل معها أيضا كل الفنـون التشكيلية بجميع أنواعها وسـائر الموسيقى بكل أشكالها ومجمـل الاشارات بما فيها من أصناف وألوان •

ان الخطاب اللغوي يحمل معه زيـادة على مضمونه المتمثـل في التبليغ والتخاطب ، فوائد أخرى عديدة لا يعثر عليها الا في كلام المائت الناطق • انه يتضمن معلومات ثمينة يبلغها الى السامع الذي يستطيع أن يعـرف من جرس صـوته ، زيادة على جنسـه وسـنه ، بداتته (Stoutness, Corpulence) وحـالاته الصحية والمنطقـة الجغرافية التي ينتسب اليها والطبقة الاجتماعية التي أثرت فيه ، بل حتى على حالاته النفسية التي يوجد عليها آن الحديث •

وقد يستفيد السامع ، ان استعمل بعض ذكائه ، من مخاطبـه ، حتى وان لم يرد هـذا الاخير ذلك ، فوق ما سبق ذكـره ، موقف محدثه مما يعرضه بنفسه ، رقة قلبه أو فظاظته ، خفة روحه أو ثقـل ظله ، ويعرف منه كذلك مدى فهمه للاشياء وكيفية معالجته الامور ثم يحكم عليه إن بالصراحة أو بالنفاق ، بالطيبة أو الخبث ، بالفطنـة أو بالتغفل الخ •

### ٢ ٠٢ ٠٥ اللغة لا تنفرد وحدها باستعمال الاشارات التحكمية

انها لتوجد في كل ما يقوم بمهمة التبليغ ، فالالوان من أحمـر وأزرق وأصفر وأسود وأبيض ، والاشـكال من دائرات ومثلثـات

ومربعات ، والخطوط الغليظة والرقيقة ، المتتابعة منها وغير المتتابعة لتكون في قانون السير وفي الخرائط ورسوم المشاريع أمارات تحكمية . واللغة ليست ، من جهة أخرى جوهرا مفرطا في التجرّد ولكنها ثمرة تاريخية معقدة نتجت عن النشاط الدؤوب ، العفوي للانسان ولا هي في نفس الوقت مجرد أنظمة صرفة من اشارات تحكمية ، ما دام جزء كبير من كلام الناس في البلاغ يمكن أن يتحقق بواسطة مفعول ايحاءات .

في كلام الغاضب القلق ايحاء عن حالته ، وان حاول اخفاءه عن السامع ورنة الفرح والسعادة والهناء في نطق السعيد لا تخفى على أذن ، ودرجة دهشة واستغراب وحيرة منفعل بادية في كلامه ، معبرة عن حالاته بمقدار دهشته واستغرابه وحيرته .

كما أن اللغة بمعزل عن أي رمز أو اشارة تستطيع أن تضيف الى البلاغ معلومات ثمينة باعتمادها فقط على الايقاع (Rythme) والمنطوق Débit مثال ذلك قوله تعالى[١٩٩] : « ولا تطع كل حلّاف مهين هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ... الآية »

٦ . ٢ . ٢ فوائد حول الموضوع

لا شك أن لـ F. de Sassure الفضل العظيم في توضيح هذا الامر ، ولذا أرى من المفيد أن أترجم فقرات مما أتى به في هذا الصدد، قال[٢٠٠] ، ان لفظة « تحكمي » تحتاج الى ملاحظة ، فلا يجوز لها

---

١٩٩ ـ الآية ١١ من السورة ٦٨ القلم

٢٠٠ ـ انظر كتابه Cours de lingustique générale ، صفحة ١٠١

أن توحي بفكـرة أن « الدال »(٢٠١) مرهون بالاختيار الحر للفاعـل المتكلم(٢٠٢) ( سنرى بعد قليل أنه يستحيل على الشخص أن يغير شيئا من الدليل (Signe) بعد أن يوضع في مجموعة لغوية ) .

نريد أن نقول انه غير معلل(٢٠٣) أي انه تحكمي بالنسبة للمدلول الذي يربطه معه أي رابط طبيعي في الواقع(٢٠٤) .

ولنذكر ، في الختام تحفظين يمكن أن يقدما في وجه تطبيق هـذا المبدأ الاصلي .

أولا : يمكن أن نعتمد على الانوماطوبيات لنقول أن اختيار الدال لا يكون دائما تحكميا وان هـذه الاونوماطوبيات لا تكون مطلقـا

---

٢٠١ ـ أنظر الحاشيتين ١٨٣ و١٨٤ في ٢٠١٠٢٢

٢٠٢ ـ اترجم بـ « الفاعل المتكلم » Sujet parlant

٢٠٣ ـ أرى أن أحسن ترجمـة للعبـارة الفرنسـية Immotivé هي « غير معلل » .

٢٠٤ ـ لقد اتهم ، فيما يتعلق بفكرة « التحكمية » كبديل لغياب تعليل مدلولات لغتـين مختلفتين بالنسبة «لدال» واحد نقدر انه قار متشابه ، أقول اتهم F. de S. بأنه غير متجانس .

واننا لنعتقد ، من جهتنا ان العالم السويسري الكبير كان طيلة حياته يدافع عن الفكرة القائلة بأنه لا توجد أسباب طبيعيـة معقولة بين المادة الاكوستيكية والدلالة . ( الرجاء ، لمعرفة هـذه القضية المهمة عند F. de S الرجوع الى بحث de larbitraire du signe وكذا Bereviste في مقال له تحت عنوان Nature du signe lingustique المنشور في العدد الاول من مجلة A et a lingustica سنة ١٩٣٩ ( انظر الحاشية رقم ١٤١ صفحة ٤٤٦ من كتاب G.L.G. وكـذا الحواشي ١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ في الصفحات ٤٤٢ و٤٤٣ و٤٤٤ من نفس الكتاب .

عناصر عضوية من نظام لغوي ، وان عددها ، زيادة على ذلك ، ليقل بكثير عما نعتقد • ان كلمـــات مثل Fouet [٢٠٥] و Glas تستطيع اثارة بعض الاذن برنينها الموحـــي ، الا أنه يكفي لنرى أن ليس لها نفس الصفة من البدايـــة ان صعدنا الى صيغتها اللاتينيـــة ( فـ Fouet الآتية من Fagus "Hêtre" و Glas آتية من (Classicum) ) فصفة أصواتها الحاليـــة أو بالاحرى هـــذه التي نمنحها لها ما هي الا نتيجة عرضية للتطور الصوتي •

أما بالنســـبة للاونوماطوبيات الحقيقيـــة ( تلك التي من صنف glou-glou و tic-tac الى آخره ) فليست قليلة فقط ، وانما يعد اختيارها « تحكميا » أيضا شيئا ما ، لانها ليست الا تقليدا تقريبا ونصف اصطلاحي لبعض الضوضاء • ( قارنـــوا بين اللفظ الفرنسي Ouacua والالماني Wauwau ) ثم انها ، زيادة على ذلك تتبع ، بمجرد دخولها الى اللغة التطور الصوتي والصرفي الى آخره ، الذي تخضع له باقي الكلمات Pigeon من اللاتينية Pipio الآتي هو من (أونوماطوبي) ، وهي حجة قاطعة ، انها فقدت شيئا من الصفة الاولى لتلبس حلة الدليل اللغوي العام الذي هو غير معلل •

ثانيا : الهتاف[٢٠٦] ، وهو قريب جدا من أونوماطوبيات ليدفعنـــا

---

٢٠٥ ــ كان لا بد من الاحتفاظ بالامثلـــة كما ذكـــرها F. de S. ليبقى النص سليما والفكرة تامة •

٢٠٦ ــ لا بد من ابداء ملاحظتين • اولاهما متعلقة بالترجمة ، ذلك انني اخترت لفظة « هتاف » وجعلت منها اسم جمع لاترجم به جمعـــا في اللغة الفرنسية ، فلا يعدو ان يكون هـــذا اتفاقا بيني وبين

هو أيضا الى ابداء ملاحظـات شبيهة بالتي سبقت وهي غير مضـرة بموضوعنا •

وانا لنريد أن نرى عبارات طوعية من الواقع ، أملتها ، هكذا الطبيعـة •

الا أننا نستطيع ـ بالنسبة لكثير منها ـ أن ننفي وجود علاقـة بين المدلول والدال •

يكفي، في هذا المضمار ، أن نقارن بين لغتين لنتبين كـم تختلف هذه العبارات فيما بينها ( فاللفظة الفرنسية . aie تقابل اللفظة الالمانية au )

واننا لنعرف ، من جهة أخرى أن كثيرا من الهتاف بدأ بكلمـات لها مدلولها المحدد (Diable! mordieu, mord dieu)

وختاما أن للاونوماطوبيات وللهتاف أهمية متوسطة ، وان أصلها الرمزي لمشكوك فيه •

**٠٧ ٠٢ ٢ . معالجـة القدمـاء لهذه الفكرة**

أعتقد أن أحسن من عالج هذه الفكرة من القدماء هو اللغـوي ابن جني ، قال[٢٠٧] « اعلم أن هذا موضع شريف لطيف • وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته •

---

=

قرائي• ثانيتهما ، كثير من اللغويين غير متفقين مع راي F. de S. فيما يتعلق بالهتاف ويرون أنه فعلا اصطلاحي وان كان غير معلل• واضـاف على ذلـك Vendryes و Warkernagal ان الهتاف هو خارج النظام اللغوي ، ومن هنا اعتقد البعض انه يصعب في بعض الاحيان كتابته •

٢٠٧ ـ ابن جني • الخصائص ، الجزء الثاني صفحة ١٥٢

قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجنــدب استطالة فقالوا : صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر •

وقال سيبويه[٢٠٨] في المصادر التي جاءت على الفَعَلان : أنهـا تأتي للاضطراب والحركة نحو النقران[٢٠٩] ، والغليان ، والغثيـان • فقابلوا[٢١٠] بتوالي حركات المثال توالي حركات الافعال •

ووجدت أنا من هذا الحــديث أشياء كثيرة على سمت ما حــداه ومنهاج ما مثلاه ، وذلك أنك تجــد المصــادر الرباعية المضعفة تأتي للتكــرير ، نحــو الزعزعــة ، والقلقلــة ، والململــة ، والقعقعة ، و ( الصعصعة )[٢١١] ، والجرجرة ، والقرقرة • ووجدت أيضا (الفعلى) في المصادر والصفات فانما تأتي للسرعة ، نحو البشكى ، والجمزى ، والولقى ، قال رؤبة :

أو بشكى وحد الظليم النز[٢١٢]

وقال الهذلي[٢١٣]

كأني ورحــلي اذا هجرت | على جمزى جازىء بالرمال
أوا صحــم حــام حراميزه | حزابية حيدى بالدحــال[١١٤]

٢٠٨ ـ انظر الكتاب ، الجزء الثاني ، صفحة ٢١٨

٢٠٩ ـ يقال نقز الظبي : وثب صعدا •

٢١٠ ـ اذا رجعنا الى الكتاب الجزء الثاني ، صفحة ٢١٨ لاحظنا ان ما كتبه هنا ابن جني هو من كلامه

٢١١ ـ التحريك والقلقلة •

٢١٢ ـ يقال ظليم نز : لا يستقر في مكان •

٢١٣ ـ هو أمية بن أبي عائذ كما في اللسان في جمز ، وانظر الهذليين ١٧٦/٢ •

٢١٤ ـ يريد بالجمزى : حمار وحش ، وجازىء : يستغني بالرطب عن

فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ــ أعني باب القلقلة ــ والمثال الذي توالت حركاته للافعال التي توالت الحركات فيها • ومن ذلك ــ وهو أصنع منه ــ أنهم جعلوا (استفعل) في كثير من الامر للطلب، نحو استسقى ، واستعظم ، واستوهب ، واستمنح ، واستقدم عمرا ، واستصرخ جعفرا • فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الافعال• وتفسير ذلك أن الافعال المحدث عنها انها وقعت عن غير طلب انما تفجأ حروفها الاصول ، أو ما ضارع بالصنعة الاصول [215]

ومن ذلك أنهم جعلوا تكرار العين في المثال دليلا على تكرار الفعل ، فقالوا : كسّر وقطّع ، وفتّح ، وغلّق • وذلك انهم لما جعلوا الالفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفعل واللام ، وذلك لانها واسطة لهما ، ومكنوفة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونها •

ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها • فأما حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد ، نحو العِدَة ، والزِنة ، والطِدة[216] ، والتِدة ، والهِبة ، والإبة • وأما اللام فنحو اليد ، والدم ، والفم ، والاب ، والاخ ، والسنة ، والمائة ، والفئة وقلما تجد الحذف في العين[217] •

---

=

الماء ، والاصحم من الصحمة وهي سواد الى صفرة • ويريد به حمار وحش ، وجراميزه : جسده ونفسه ، يحميها من الصائد ، حزابية ، غليظ • حيدي يحيد من سرعته • والدحال : جمع الدحل ، وهو هوة ضيقة الاعلى واسعة الاسفل •

٢١٥ ــ يريد بالمثال البناء •

٢١٦ ــ والطدة من وطد والصدة من وصد يقال وطد الشيء ووصد : ثبت

٢١٧ ــ من ذلك السه وأصله الستة ومذ واصله منذ •

## ٢٠٢٠٨ اللغة منفردة بالصفة الخطية

لقد تعرض علماء اللغة العربية قديما لهذه القضية في كثير من موضوعات بحوثهم ، لا سيما فيما يتعلق بالنظم والمنظوم في القرآن الكريم وفي أبواب عديدة أخرى[٢١٨] .

وأول من أثار انتباه الناس في أوربا ، بشكل علمي الى هذه الصفة الخطية للّغة العالم اللغوي Saussure الذي قال في دروسه :

« ان الدال وهو من طبيعة سمعية يجري في الزمن وحده وله الطبائع التي يستمدها من الزمن » .

أولا : يمثل امتدادا .

ثانيا : وان هذا الامتداد ليقاس ببعد واحد . انه خط

يعد هذا مبدأ بديهيا الا أن التصريح به قد أهمل دائما ، لربما لانه ظهر أنه بسيط مع أنه أساسي ونتائجه لا تحصى كل آلية اللغة متوقفة عليه .

فبينما يمكن أنيقدم الدالون المرئيون ( الاشارات البحرية ) وغيرها مواضيع معقدة في نفس الوقت على أبعاد كثيرة ، لا يتوفر الدالون الاكوستيكيون الا على خط الزمن . لذا نرى عناصرها تتقدم الواحدة بعد الاخرى ، انها تكون سلسلة .

تظهر هذه الصفة بمجرد ما يقع تمثيل الدالين بالكتابة وبمجرد ما يعوض الخط الفضائي للعلامات المكتوبة بالتتابع في الزمن »[٢١٩] .

---

٢١٨ ـ ساتعرّض لهذه النقطة بتفصيل في جزء آخر لاحق بحول الله .
٢١٩ ـ دروس في علم اللغة العام ، صفحة ١٠٣

فاذا ما أخذنا الصوتات[٢٢٠] /ت/ء/ب/ء/ع استطعنا أن نكون منها «تعب» أو «تبع» أو «بعت» أو «عبت» الخ ولكل واحد من هذه الدالين[٢٢١] دلالة معينة أوحى بها الترتيب الخطي للصوتات. يتضح اذن من هذا أن الترتيب النسقي للصوتات داخل الدال له الدور الخطير في تحديد دلالة الالفاظ .

وحينما أقول « اعتدى الاسد على الرجل » يكون له معنى غير المعنى الذي يوحي به المقطع « اعتدى الرجل على الاسد » لهذه الصفة الخطية التي تنفرد بها اللغة .

**٠٩ ٠٢ ٢ الدال اللغوي منفرد بالصفة الحدية**

يتكون البلاغ من جهة من وحدات موحية مختلفة بعضها عن بعض اذا ما اعتبرنا البلاغ على مستوى التقطيع الاول بمعنه انه يستعمل على وحدات دالة يعاكس بعضها البعض دون ما تدرّج كما يتكون ، من جهة أخرى ، من وحدات مميزة مختلفة بعضها عن بعض ، لا توحي بمعنى آذا ما اعتبرنا البلاغ على مستوى التقطيع
وعلى هذا نستطيع أن نقول : ان مفهوم بلاغ ذي دلالة بين بين غير مفيد على الاطلاق .

اذا سمعت أحدا يقول مثلا : « جاء رجل » فلا يتصور أن أفهم « جاع رجل » وسأظل أفهم هذا الفهم ولو أمال القائل الهمزة كثيرا

---

٢٢٠ ـ اقابل Phonème بصوته بضم الصاد لان فيها قدرا من الاصوات والضم في العربية في مثل هذه الاوزان يدل على «القدر» والفتح على «الوحدة» لذا سأخصص في الاجزاء القادمة للمصطلح « صوته » بالفتح .

٢٢١ ـ اجمع مصطلح الدال ( انظر الحاشية رقم ١٨٣ ) جمعا مذكرا سالما لتفادي اللبس .

نحو العين الى آن يقلبها قلبا تاما عينا ، ذلك انه لا يمكن أن تكون الصوتة بين بين فلا هي عين ولا هي همزة بل لا بد أن تكون الهمزة فقط أو العين لا غير ،

### ١٠ ٢٠٢ الصفة المزجية للغة

سندرس هذه الصفة بتفصيل عندما تتعرض ، في جزء لاحق ان شاء الله ، الى الثنائية : سليقة/استعمال ، أو كفاءة / قياس ، أو لغة/كلام • لكننا نستطيع أن نذكر من الآن ، واعتمادا على النتائج التي وصل اليها Katz و Fodor اللذان يريان أن على البحث اللغوي أن يعبر عن المظهر الخلاق للحديث وهما يعنيان بذلك تلك المعلومات التي تسمح للمخاطب أن يستعمل ويفهم أية جملة في لغته ويعي حتى تلك التي لم يسبق له أن سمعها في حياته كما أن دور هذا البحث يتمثل أيضا في وصف الكفاءة (السليقة) للمخاطب • بمعنى أننا ، حتى اذا كنا لا تتوفر على أجزاء من الاستعمال وجب علينا ، انطلاقا من مجموعة هذه الانشطة الاختبارية المعروضة علينا ، بشكل عشوائي أن نعلن عن القواعد التحتية التي تتحكم فيها • وبهذا نتمكن من تحديد شكل كفاءة من نوع الكفاءة «الدلالية» التي تختلف طبعا عن الكفاءة التي أعلن عنها Chomsky

فلم يبق الغرض اذن من هذا البحث الاعلان عن الكيفية التي بها « ننتج » الجمل بقدر ما صار البلوغ الى الكيفية التي بها « نؤول » الجمل •

وحتى اذا كان المؤلفون يحاولون ، جادين ، أن يحددوا هذه الوظيفة في نطاق « محايد » فانهم يركنون الى حصرها في قضية « الفهم » لا غير •

بهذا يتوصلون الى تحديد الصفة المزجية للّغة • وهي الصفة التى تستطيع وحدها أن تبين لنا أن مخاطبا ما يفهم جملا تتجدد باستمرار •

۱۱•۲•۲• تغيرية الدليل

لا بد اذا أردنا أن يكون تعريفنا للغة شاملا من تحديد صفة أخرى يتصف بها الدليل (le signe ، تلك الصفة هي « التغيرية » (Muabilité)

أما العرب فقد تحدثوا قديما عن هذه الصفة بأشكال مختلفة الى أن أصبحت متشعبة ، لا سيما في قسم الصرف وفي معرض تحليلهم لاساليب العرب •

أما من المحدثين فأعتقد أن أول من تصدى لهذه القضية بوضوح هو العالم السويسري De Saussure الذي قال عنها : « للزمن الذي يضمن استمرارية اللغة أثر آخر هو في الظاهر مناقض للاول ، انه « التبديل » الذي يلحق ، ان عاجلا أو آجلا الدليل اللغوي ، بحيث يمكن أن نتحدث ، في نفس الوقت ، عن « لا تغيرية » الدليل وعن «تغيرية» الدليل •

ان الواقعتين متضامنتان ، فالدليل في حالة «تبديل» لانه مستمر، ان الذي يغلب في كل تبديل هو ثبات المادة ، وليس الخروج عن الماضي الا نسبيا ، لذا يرتكز مبدأ التبديل على مبدأ الاستمرار •

يأخذ التبديل في الزمن أشكالا مختلفة ، وكل شكل من هذه الاشكال يكون مادة لفصل مهم في اللسانيات •

لكنّ الاهم الذي يمكن استعراضه في هذا الموضوع ، دون أن ندخل في التفاصيل ، هو ألا نخطىء في المعنى الذي سنعطيه ل

« التبديل » • قد يظـن أن هذا يتعلق على الخصـوص بالتغـيرات الصوتية التي تمس الدال أو بالتغيرات المعنوية التي تلحق المفهـوم المدلول •

ستكون هذه الرؤية غير تامة بالمرة ، كيفما كانت عوامل التغيرات، منعزلة أو مختلطة فانها تؤدي دوما الى تحويل العلاقة الرابطـة بين الدال والمدلول[٢٢٢] •

ولست في حاجة الى اعطاء الامثلة عن «التغيرية» • فكتب اللغـة عندنا تزخر بالتفاصيل عن هذا المصطلح • ويكفي لمن أراد أن يكون فكرة عن هذا الامـر أن يلقي نظرة على الكتـاب لسيبويه أو على الخصائص لابن جني أو على غيرهما ليجد ضالته ، من أفكـار هذه الفقرات الكثيرة يتكون تعريفنا للّغة •

---

٢٢٢ ـ دوسوسير F.de.S ص ١٠١

## المصطلحات الواردة في هذا الجـزء

| | | |
|---|---|---|
| 1 — Antnropoiogie n.f | ٨٢ | انتروبولوجية |
| 2 — Axe aes successivités n.m | ٦٢ | محور المتلاحقات |
| 3 — Axe des simultanéités n.m | ٩٠ | محور الحدث الآني |
| 4 — Contrainte sociaie n.f. | ٦٧ـ | ضغط جماعي |
| 5 — Conscience collective n.f | ٦٦ | وعي جماعي |
| 6 — Diachronie n.f | ٦ | متحـرك |

هكذا عربتها ولكنني قابلتها في الجزء الثالث من هذه السلسلة بـ :

« حركيـــة »

| | | |
|---|---|---|
| 7 — Diachronique adj | ٩٥ | حركيــة |
| 8 — Débit n.f | ١١١ | نطـوق |
| 9 — ding dong Theory | ٥٠ | |
| 10—dynamique adj | ٨٤ | حركة ( آلية ) |
| 11—Enoncé n.m. | | عبـــارة |

كنت عربتها في الجزء الثالث من هذه السلسلة بـ «قول» انظر ج٢ ص ٣٢

| | | |
|---|---|---|
| 12—Erzengue | ٤٦ | توليد ( مصطلح الماني ) |
| 13—Evolution n.f. | ٨٤ | حركيــة |
| 14—Formaiiste n.m. | ٨١ | صـورية |
| 15—G.ottek | ٥٤ | علوم الحنجرة (لفظ الماني) |
| 16—Historique adj. | ٨٤ | حركية |
| 17—Humanisme n.m. | ٦٥ | انسـية |
| 18—Infrastructure n.f. | ٧٨ | بنية قاعدية |
| 18—Innere kraft | ٧١ | قوة باطنية (لفظ الماني) |
| 19—Innere sprachform | ٤٥ | صورة باطنية (لفظ الماني) |
| 20—Junggrammalk | ٦٤ | نحاة شباب (لفظ الماني) |
| 12—Linguistique statique n.f. | ٩٤ | |
| 22—Néo-grammairiens n.m.plu. | ٦٤ | نحاة جـدد |

| | | |
|---|---|---|
| 22—Pictographique adj. | ١٠٨ | كتابة تصورية |
| 23—Phonème n.m. | ١١٨ | صوتيه |
| 24—Pooh-pooh Theory 46 | ٥٠ | |
| 25—Principe du déterminisme linguistique | ٤٥ | اشتراط اللغة |
| 26—äcine n.f. (Nurzel, Root, Raiz) | ٦٥ | جـذر |
| 27—Référent n.m. | ٩١ | مدلول عليه |

سأقابله في العدد السادس من هذه السلسلة ب « مرجع »

| | | |
|---|---|---|
| 28—Représenetation(s) n.f. piu Collective(s) | ٦٨ | تصورات جماعية |
| 29—Retrospect n.m. et adj | ٨١ | |
| 30—Rythme n.m. | ١١١ | ايقـاع |
| 31—Sémiologie n.f. | ٩٥ | علم الاشارة |
| 32—Signe n.m. | ١١٢ | دليل |
| 33—Signifiant n.m. | ٩١ | دال |
| 34—Signification n.f. | ٩١ | دلالـة |
| 35—Signifié n.m. | ٩١ | مدلول |
| 36—Sonorité n.f. | ١٠٧ | رنـين |
| 37—Structure n.f. | ٧١ | بنيـة |
| 38—Synchronique adj | ٨٤ | سكونية |
| 39—Système n.m. | ٧١ | نظـام |
| 40—Ursprache | ٥٢—٨ | لغة أصلية (لفظ الماني) |
| 41—Yoheho Theory | ٥٠ | |

## الفهرســـت



## الفصـــل الاول

## الفصــل الثاني

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

١٩٨٦

مشروع النشر المشترك

دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) - بغداد

دار النشر المغربية

السعر: دينار وربع